الموسيقا الإلهيّة

ابدأ بالتأمُّل

الموسيقا الإلهيّة
ابدأ بالتأمُّل

أوشو

تَرجمة: جلال أَبو رايد

اسم الكتاب: الموسيقا الإلهيَّة (ابدأ بالتأمُّل)

المؤلف: أوشو.

المُترجم: جلال أبو رايد.

الطَّبعة الأولى: 2015.

عدد النِّسخ: 1000

الترقيم الدولي: ISBN: 978-9933-22-084-6

جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في :

دار مؤسسة رِسلان للطباعة و النَّشر

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار مؤسسة رِسلان

للطباعة و النَّشر و التوزيع

دمشق – جرمانا – الآس الشرقي

هاتف: 00963115627060

هاتف: 00963115637060

فاكس: 00963115632860

ص .ب : جرمانا 259

www.darrislan.com

الفَصل الأوَّل

ما زالوا هُناك

هل حقاً الغَرب غَرب، والشَّرق شَرق؟ ولما كُلُّ هذا الاختلاف؟

لما تَجد نَفسَكَ مَدفوعاً ومَوصولاً بداخِلكَ العَميق عِندما تكون في الشَّرق، في الهند مثلاً الأمر الذي لا يَحدُث في مكانٍ آخر ؟ ما سِرُّ هذا التحوُّل؟

يُمكِن في الحقيقة الإجابة على هذا السُّؤال بالعودة إلى مَسألة الطَّاقة وحقولَها... لِكُلِّ مَكانٍ في العالم حقلهُ الطَّاقيِّ المُمَيَّز، الذي تولدُ بفعلِ تأثيراتِ آلافِ البَشر الذين عاشوا فيهِ... كيف كانَت حياتهم؟ كيف كانوا يَحيون ويموتون؟ ماذا كانوا يعملون؟ كُلُّ ذلكَ أمورٌ مُهِمَّة... صحيحٌ أنَّهم الآن أموات، لكنَّهم تركوا وراءهم حقلاً مِنَ الطَّاقة يستمِرُّ قُروناً.

هذا ما حَصَلَ في الشَّرق، طاقة مُتدفِّقة مُتزايدة على الدَّوام، لقد تَركَّزَ اهتمامَ هؤلاء على شيءٍ واحدٍ، لآلاف السِّنين حاول هؤلاء وجدّوا بالبَحث في العَالم الدَّاخلي، ليس إنسانٌ واحدٌ بل الملايين، جيلاً بَعدَ جيل، مِمَّا ولَّدَ حقلاً مُحدداً مُمَيَّزاً تَفتَقِدُهُ سائِرُ الأَنحاء.

التأمُّل في الشَّرق طوفان يُمكِنُكَ أن تَطفو فيهِ، لستَ بحاجةٍ للسباحةِ بَل عومٌ و تِطوافٌ فَقط، فالطاقة هُناك كأنَّها نَهر عَظيم شَقَّ طريقهُ إلى المُحيط، أما في الغَرب فقد أوجد الفِّكر المادي الخارجي نَمطاً مُناقضاً تماماً من الطَّاقة، نَمط خارجي.

إذا كُنتَ عالِماً تعمل في الغَرب ستجد دَعماً غيرَ مرئي من المُحيط العام بخدمتك، أما في الشَّرق فلا يَحصل على هذا الدَّعم سِوى من شَرَعَ برحلتهِ الدَّاخليَّة، ستجد كُل شيء يُساعدك، السَّماء، الهواء، الأشجار، وكل شيء... هل لأن تِلكَ الأشياء تَمتلك قوَّةً ما خفيَّة؟ بالطبع لا بل و بِكُلِّ بساطَةٍ كانت ولِقرونٍ طويلةٍ تَشدُّ باتجاهِ

المراكِزِ الدَّاخلية.

هُناكَ قِصصٌ جميلة رُبما لا تكونُ واقعيَّة لكنَّها حقائِقٌ و لكَ حُريَّةُ التَّصديق، هُناكَ أشياء رَغم أنَّها واقعيَّة ليست حقيقيةً كالأحلامِ مَثلاً، فأنتَ رُبَّما تَقتُل أحدهم في الحُلم وهذا واقعي، إلا أنَّ القَتلَ في الحُلم غير حقيقي، تستيقظ وينتهي كُل شيء، وهُناكَ بالمُقابل ما هو حقيقي وليسَ واقعي.

رُبَّما يَجلس أحدنا في ليلةٍ اكتمل فيها القَمر على ضِفَّةِ بُحيرةٍ هادِئة، يُرى عِندئذٍ القَمر في البُحيرة حقيقي وليسَ واقعي، ورُبَّما لا تكونَ بحاجةٍ للنظر إلى القَمر الحقيقي البَعيد في السَّماء، رُبَّما لا يصبحُ جِزءاً من مَعارفِكَ الواقعيَّة لكنَّهُ حقيقةٌ حَيَّة.

تتسبَّبُ القِصص الجَميلة المُحيطة بأصحاب النُّمو الداخلي بمشاكلٍ و مَصاعبٍ للناس العاديين أما بالنسبةِ للمُتأمِّل فلا، لأنَّ اهتمام الأَوَّل مُتركِّزٌ على الوقائع و يُعتبر اهتمام الثاني أعمَقَ وأَبعد، لا يُبالي المُتأمل

بالواقعي كثيراً، وإنَّما يُركِّز اهتمامهُ على الحقيقة والحَقيقي.

تعالَ نَأخُذ بعضَ الأَمثلة.

كان بوذا كثير السَّفر، حيثُ اعتاد السَّيرَ والتَّنقُل ثمانية أَشهُرٍ في العام، ويتوقَّف فَقط خِلالَ أشهُر الأمطار الأربعة، أثناء سيرهِ رُبَّما احتاجَ للاستراحة تَحتَ شجرةٍ تساقطت أوراقها، وتعرَّت أغصانَها المُمتدة في السَّماء... حانَ وَقتُ تَساقُط الأَوراق.

لكن وكما يُروى على ما يبدو كانت الشَّجرة تَشعُر بالخَجل عند قُدومِ رَجُلٍ بَلَغَ ذُروة ذُرى الوعي الكوني و لا يوجدُ ظِلٌّ ظَليل، ولا أوراقٌ، ولا أزهارٌ تَفرح تُرحِّبُ بهِ... عند الصَّباح، وعِندما ينهضُ بوذا، يُفاجأُ التلاميذُ بأُعجوبةٍ قد حَصلَت، إنَّ الشَّجرة التي كَانت بالأمس عاريةً تماماً مِن كُلِّ ورقةٍ أو وردةٍ تحوَّلَت اليوم إلى شجرةٍ خضراءَ حولها مِئاتُ الورود، تُرحِّبُ بالرَّجُلِ العَظيم، حدثت المُعجزة في هدأةِ اللَّيلِ الصَّامت.

تكررت حوادث مُشابهة بأوقاتٍ و أشكالٍ عِدَّةٍ، بحيثُ لم يَعُد بالإمكان تكذيبُها ببساطة... إنَّها حَقائِقٌ واختباراتٌ وجوديَّةٌ مَوجودة.

في حياة السَّيد المَسيح قصةٌ لا تَفسيرَ لها في النُّصوص المسيحيَّة، بل على العَكسِ تُحاوِلُ إخفاءها، ولِفَهمِ هذهِ الحادِثة تعالَ نَستَذكِر بعض المَعلومات ذات الصِّلة في حياةِ هذا المُعلم.

في الرَّابعة عَشرة من عُمرهِ ذَهَبَ المَسيح إلى الهند، وبَقيَ هُناكَ مُدَّةَ أربعةَ عشرَ عاماً أُخرى، أما بوذا فَكانَ لا يزالُ في الهواءِ، فقد عاشَ هُناكَ مِنذُ خمسمئةِ عامٍ مُخلِّفاً وراءهُ مِئات المُستنيرين، ولا بُدَّ أن الشَّاب القادِم مِنَ الغَرب {بالنسبة لَهُم} كان شديدَ التأثُّر بالمعلِّم العَظيم، وهذا ما تثبتهُ رحلة المَسيح في الشَّرق، حيثُ ذهب إلى لاداخ Ladakh، حيثُ يُوجد واحدٌ من أَقدم الأديرة البوذيَّة، و منها إلى التيبت التي أَصبحت أَكثر تَناغماً وتَوافقاً مع التَعاليم البوذيَّة من الهند نَفسها.

كان انجذاب المَسيح شديداً نحو الفَضاءات الخفيَّة المجهولة في لاداخ و التيبت، والسَّبب هو توقهُ لمعرفة المزيد والمزيد عن ذلِكَ الرَّجُلِ الغريب الذي غَيَّرَ كُلَّ شيء، حتى الجوَّ و الهواءَ في الشَّرق.

لا بُدَّ وأنَّهُ مَرَّ على تِلكَ القَصص التي تَروي أحاديثَ تَفَتُّحِ وإزهارِ الأَشجار عند قُدومِ بوذا إليها رَغمَ أنَّ المَوسِمَ ليس مَوسم تَفَتُّحٍ ولا إزهار.

أمضى باحثٌ روسي في العَصر الحديث ستة أَشهُرٍ في لاداخ يدرس المَخطوطات القَديمة، و خَرَجَ بتقريرٍ مَفادهُ أنَّ تِلكَ المخطوطات تَصِفُ المَسيح على أنَّهُ شابٌّ مُحِبٌّ للاطلاعِ، يتمتعُ بصمتٍ عظيمٍ، قَدِمَ إلى الدَّير و مَكَثَ فيهِ ثلاثةَ أَشهُر، كان وصفاً دقيقاً « شابٌّ قَدِمَ مِن بلدةٍ بعيدةٍ، وكانَ يَجدُ صُعوبات بالغة بسبب اختلافِ اللُّغة، لكنَّهُ حاوَلَ وحاوَلَ، وجَمَعَ أَقصى ما بوسعهِ من ذلك الرَّحيق ...»

تُحاوِل المسيحيَّة في العَصر الحديث إخفاءَ جَميع

المخطوطات التي في لاداخ، كما دَمَّرت مَخطوطات أُخرى في التيبت أثناء الانتداب البريطاني، يحاولون إخفاء أيَّة إمكانيَّة يُمكِنُ أن تُثبت أن المَسيح ذهبَ إلى الشَّرق و تعلَّمَ فنَّ الرِّحلة الدَّاخليَّة، لكن ورَغمَ تِلكَ المُحاولات هُناكَ أدلَّةٌ واضحةٌ على ذلك.

لنأتِ الآن إلى قِصة المَسيح.

لثلاثةِ أيامٍ مُتواصلة عانى المَسيح ومُريدوه الجُّوع، فقد كان مَسيرهم في قُرى يَهوديَّة مُتعصِّبة رفضت تقديمَ أيِّ طَعامٍ أو مَلجأ لَهم، بَل على العَكس طُرِدوا خارجاً، جاء المَسيحُ إلى شجرةِ تينٍ و بدأ يتشاجرُ معها، ولم يَكن رَجُلَ غَضَبٍ وَشِجار، بل رَجُلَ حُبٍّ وسلامٍ عَظيمَين، لكنَّها قِصَّةً فريدةً من نَوعِها و لا تَفسيرَ لها في المسيحيَّة.

من جهةٍ أولى حماقةً أن تُشاجرَ شجرةً لأنَّكَ جائِع، ولم تُقابِلكَ بثمارِ تينها والمَوسم ليس موسم تِين، بدأ الرَّجُلُ يَشتم الشَّجرة والموسِمَ غَيرُ مُناسبٍ، حتى لو كان الأمر كَذلِكَ، فالشجرة غير مُلزمة بتقديمِ الثِّمارِ لأَحد، كما

أنَّهُ لا يجوزُ لكَ أن تتوقع مِن شجرةٍ أن تُرحِّبَ بك.

من أين أتتهُ تِلكَ الفِكرة ؟ ولا وجودَ لأيِّ شاهدٍ أو دليلٍ أو مُشابهٍ لها في الموروث اليَهودي، ولا حتى في المَنطقة كامِلة، التَّفسير الوحيد أنَّهُ أتى بها عند قِراءتهِ لِقِصَصِ تَفتُّحِ الأَشجار وإزهارها وإثمارها عندما كانَت تُرحِّبُ ببوذا، نَسِيَت الغاباتُ كُلَّ شيءٍ عن الفَصلِ والمناخِ واخضرَّت فَرحاً باستنارةِ بوذا؛ فَرِحَت ببركاتهِ، فَعبَّرَت عن ذلك بِلُغتِها، فاخضرَّت فَرحاً باستنارَتِهِ، فقد استنار جزء من الوجود عِندما أَدرَكَ رجلٌ واحدٌ استنارتهِ، لأنَّ مُستوى الوعي ارتقى في الوجود بأكمله باستنارةِ رَجُلٍ واحدٍ.

في الشَّرق كانت الحقيقةُ واضحةٌ، ولو لَم يَكُن قد مَكَثَ في الشَّرق لما كان للمسيح أن يَجرؤ على أن يَطلُب من الشَّجرة تيناً في غير موسمهِ، لكنَّهُ نسي تَماماً أنَّ الشَّجرة بحاجةٍ إلى مَناخٍ مُحدَّد؛ بحاجةٍ إلى خَفقانٍ مُحدد، وبحاجةٍ إلى إرثٍ مُحدَّد، ما لم تُدرِك الشَّجرة أنَّ

أسلافها قد اعتادت ولآلافِ الأعوام على التَّرحيبِ بالمُستنيرين؛ ما لم يَكُن ذلك الخَفقان كافِياً لإثارةِ الرَّقص، والفرحِ فيها، وللتعبير عن نفسها وعَن جَمالها.

لا الشَّجرة كانَت تَمتَلك ذلك الإرث والخَفقان، ولا المسيحُ كان رَجُلاً مُستنيراً، رُبَّما سَمِعَ عن أُناسٍ مُستنيرين؛ رُبَّما جَلَسَ عند أقدامِ البعضِ مِنهُم؛ رُبَّما كانت في أعماقهِ رَغبة بأن يكونَ مُستنيراً، لكنَّ الاستنارة ولُغتها أمرانِ غريبان عنهُ وعن أبناءِ بَلدهِ، رُبَّما لم يَسمع بِها أحدٌ هُناك، ولم يَسمع أحدٌ بأنَّ أحدَهم قد أصبحَ مُستنيراً، اعتدنا في أُمَّةِ الوسط وفي الغرب على نَمَطٍ مُختَلِفٍ من الحياة الدينيَّة، من خِلالِ الاعتقاد بالرُسل والأَنبياء والأولِياء المبعوثين من اللّه، وبأنَّ الإيمانَ بهم سبيلٌ للنَّجاة.

كانَ من شأنِ فِكرة الإيمان بأحدهم إعفاء كُلِّ واحدٍ مِنَّا مِن مسؤوليَّة الاستنارة، وأصبحنا نَعتقد في لا وَعينا أن الإيمان بأحدهُم أسهل كثيراً للتحرُّرِ من هذا العَذاب

ومِن ظُلمة الرُّوح من أن يأخذ على عاتِقِهِ مَسؤوليَّة الاستنارة، لَكننا لم نُدرِك أنَّهُ وفي اللحظة التي نتخلَّى فيها عن مَسؤوليتنا لأحدهم نَكونُ قد خَسِرنا حُريتنا، الحُريَّة و المسؤوليَّة وجهان لعُملَةٍ واحدةٍ.

لا يُمكِنك أن تَقول «النَّبي فُلان مَسؤول عني وعن إنقاذي، ولا زِلتُ حُرَّاً بأن أكون أنا» عندما تُصبح «مُؤمناً»، وتَتَخلَّى عن مَسؤوليتكَ للمسيح أو لِموسى أو لغيرِهِ من الأنبياء تكونُ أيضاً قد فَقدَّتَ حُريتَكَ، حيثُ لا دافِعَ بعد الإيمان ليدفَعَكَ لِتُدرِك وجودَكَ، ولا حتى لِتُدرِك من أَنت، فكلُّ ذلِكَ أصبح مَسؤوليَّةَ النَّبي، وتعتقدُ واهِماً أنَّكَ لا زِلتَ مُتحرِّراً، و تَنسى أيضاً أنَّكَ تَنكر بهذهِ الطَّريقة حُريتك الأصليَّة، عندما تذهب عَنكَ المسؤوليَّة تَهبُط إلى مُستوى العَبيد.

لم يستطع المسيح التحدُّث بِلُغةِ الشَّرق، وتوجَّبَ عليهِ التحدُّث بلغةِ قومهِ، لكنَّ للشرقِ تأثيرهُ الواضح المُختلف بين البيئتين.

على سَبيل المِثال يقول اللّه في العَهد القَديم عند اليَهوديَّة « أنا لستُ لَطيفاً ، أنا إلهٌ غيورٌ و عَنيفٌ جِدّاً ، و ستتوجَّبُ على مَن يَعصاني مُعاناةٌ و عذابٌ أبديين» ، ويعود لِيقول أخيراً « أنا لَستُ عَمَّك».

عندما يقول لست عَمَّك، يَقصِدُ بِأَن يذكِّرَكَ بأنَّهُ والِدُكَ، والطَّاعةُ هي الدِّينُ الوَحيد.

تتلخَّصُ قِصَّة الخَلق عند اليهوديَّة والمسيحيَّة بإنسانٍ يُطرَدُ من الجَّنة ، لا لأنَّهُ اقترف ذَنباً ، ولا لأنَّهُ قَتَلَ أحدَهُم ولا لأنَّهُ اغتصب أَحدهم، بل لأنَّهُ كان عاصياً ، هُنا تتوضَّحُ الأُمور حيثُ تَعتَبر الأَديان الطاعة هي الدِّين وتَكمُن الخطيئة المَحضة بالمَعصية.

غريبةٌ قِصَّةُ آدم وحَواء وطردَهُما من الجَّنة ، إذا كُنتُ مَوضوعيَّاً ؛ إذا كُنتَ عادِلاً ، وليست لديكَ رَغبةٌ عميقةٌ بِظُلم الآخرين، ستُدهَش لِسبَبِ طَردِهما ، فقد قال لهما اللّه « في هذهِ الجَّنَّةِ الواسعة يُمكِنكُما تناول ما تريدان إلا تلكُما الشَّجرتين فَهما مُحرَّمتان».

جميعها رموز لكنَّ دلالاتها عَظيمة، قد لا تكون واقعيَّةً لكنَّها بالتأكيد حقائِق، إحدى الشَّجرتين هي شجرة الحِكمة التي حَرمها الإله الغيور، ويمكن أيضاً اعتبارها شجرة الاستنارة، فما هذه الأخيرة سوى الحِكمة التي لم يرتضيها الإله الغيور إلا لنفسه، أما الشَّجرة الثانية، فهي شجرة الحياة الأبديَّة، لقد مَنَعَ الإنسان من تَناول فاكهة هاتين الشَّجرتين.

لقد حرم الإنسان ما من شأنهِ جعل الحياة عامرة بالنشوة؛ لقد حَرَمَهُ من الاستنارة ومن اختبار الحياة الأبديَّة... ما الذي تبقى إذاً ؟! أخذ إلهك كُلَّ جمالك؛ استنزف حُريتك، لقد دمَّر كُلَّ رغبةٍ فيك بالذهاب داخلاً حيث تنمو كِلتا الشَّجرتين، شجرة كانت أم شجرتين لا فَرق و لا أهميَّة، المهم أنَّهُ اختبارٌ واحدٌ متعدد العطور.

غادَرَ المَسيح إلى مَوطنهِ وهو في الثامنة والعشرين تَقريباً، واستغرقت رحلة العودة قُرابة العامين، لكنَّهُ وللأسف

وقع هناك باشتباه الألفاظ، من الطبيعي أنَّهُ لو أرادَ التحدُّث عن الاستنارة والنشوة الداخليَّة لما فهمهُ أحد، فتوجَّبت عليهِ الترجمة، فتحدث عن «مملكة اللّٰه» وفعل ما بوسعهِ لِجعل كل ما يقولهُ مُتوافقاً مع ما تعلُّمهِ في الشَّرق.

هذا ما دفعهُ للقول وهو أوَّل من قال بأنَّ «مملكة اللّٰه» في الداخل أو في القلب، الأمر الذي لم يَرِد في العَهد القديم، ولم يَسمع بهِ أحد من قَبلهِ، أنَّ اللّٰه ومملكتهُ كائِنين في قلبك، وهي في الحقيقة ترجمة غاية في الرَّوعة تعني بأنَّكَ إلهٌ وفيك تسكن الألوهيَّة، مَملكة اللّٰه في الدَّاخل طريقة نتعلَّم فيها أنَّ البحث في الخارج طريق من ظل السَّبيل من المريدين والسَّائرين، وعليك التوجُّه داخلاً.

هذا ما أوقع اليهود في مُشكلة، فقد تحدَّثَ بلُغةٍ مفهومةٍ عن أشياء مألوفة لهم، لكنَّ المَعاني كانت غريبة، باتت الأمور واضحة الآن، إلهٌ غيورٌ لَن يَغفر أيَّة

خَطيئة، والمثال والبرهان طَرد آدم وحوَّاء من الجَّنة لتناولهما ثِمار الحكمة.

لم يَكُن أمامهما مُتسعٌ من الوقت، فقد أُلقيَ القبض عليهما بالجُرم المشهود عند الشَّجرة الأولى، قصة جميلة لكنَّهُ جانبها الوحيد هو جانب مُحزن.

أحياناً عندما تكون حِيادياً يُمكِنُكَ أن تُدرك أشياءً قد لا تكونُ جليَّةً للفكر المتأثِّر بتيارٍ ما، كان الشَّيطان يُطارد حواء من مَكانٍ لآخرٍ يغويها لتأكُل من شَجرة الحِكمة، ومن الطَّبيعي أن تكون حواء خائفةً، فَتلك شجرةٌ مُحرَّمة، لكنَّ حُجَّةَ الشَّيطان في الإقناع كانت دامغةً حيثُ قال «ألم تُدركي لما حَرَّمَ عليك الاختبار الأعمق، لقد حَرَّمَ اختبار الحِكمة، واختبار الحياة الأبديَّة، لقد فعل ذلك لأنَّهُ غَيور، فلو تحققت لك الاستنارة و الحياة الأبديَّة لتحققت لكَ الألوهيَّة عينها وهذا ما لا يَرضاهُ الغَيارى لِغيرهم»

لا أدري لما لم يَنل هذا الشَّيطانَ حقَّهُ من التَّقدير على

هذا القول البليغ، لأَنَّهُ أعمقُ دلالةً، وأقربُ إلى الحقيقة من الأوامر الفاشيَّة لِذلك الإله الغَيور.

من المُفيد التذكير بأنَّ الأصل السَّنسكريتي للكلمة شيطان Divine، وكلمة ألوهيَّة Devine، هو أصلٌ واحد، فللكلمتين المعنى ذاتهُ، ورُبَّما كان الشَّيطان أوَّلَ أشكال الثَّوَرَان العَظيم، وكانت خطيئتهُ العَظيمة أنَّهُ ثارَ على إلهِهِ، وإلا كما نعلم فقد كان في عِداد الملائِكة، وقد استحقَّ الطَّرد من المؤسسة الإلهيَّة بسببِ فكرهِ الثَّائر.

إن ما فعلهُ الشَّيطان أثناء مُطاردتهِ لحواء يولِّدُ داخلك احتراماً عَميقاً لإنسانيَّتِكَ؛ إن ما حاول الشَّيطان تعليمهُ لحواء هو ذاتهُ ما يُحاول المعلمون والمستنيرون تعليمهُ لنا، ذلك أنَّكَ تستطيع أن تَصير إلهاً؛ ذلك أنَّكَ إله لكنَّكَ نَسيت، رُبَّما تكون نائماً ولا تَدري مَن تَكون؛ رُبَّما نَكونُ نِياماً وكلُّ ما نحنُ بِحُاجتهِ هو اليقظة والاستيقاظ.

هذا ما كانَ المسيح يُحاول فِعلهُ، وتسببت لهُ تِلكَ المحاولة بالصعود إلى الصَّليب، لم يكن المَسيح مُستنيراً، نعم يُمكننا قول ذلك دون أيِّ صُعوبات، والسَّبب أنَّهُ كان لا يزال يعتقد أنَّهُ من طبقةٍ إلهيَّةٍ عُليا يَنفردُ بها، فقد كان يقول أنَّهُ ابن اللّه الوحيد، وباقي الإنسانيَّة بحاجةٍ لهُ، كما أنَّهُ لا يُمكِنُ لأحدنا أن يُصبح عُضواً في مملكة اللّه دون أن يؤمن بهِ، و بالطبع ليس هذا قولُ و لا فِعلُ رَجُلٍ مُستنير.

كان أول شيء أدركهُ بوذا لحظة استنارتهِ هو أنَّ الوجود بأكمله مُستنير، وكلُّ ما يعانيهِ هو عَدم اليقظة، إن ما يعانيهِ الإنسان هو نومٌ سريع، رُبَّما تَكون الأشجار بحالةِ نومٍ أعمق، ورُبَّما كانت الجِّبالُ بحالةِ سُباتٍ تام، أما النُّواة الجوهريَّة لِكُلِّ وجودٍ سواءً أكانَ في حالة وعيٍ أم سُباتٍ واحدةٍ... لا توجد في الوجود اختلافاتٌ جوهريَّة.

لم يستطع المسيح تحقيق الاستنارة بسبب استمرار تأثره

بالأفكار الجميلة للفضيلة، ما هي الفضيلة ؟ طاعة وعبودية، ما هي الخطيئة؟ مَعصية وتمرُّد، هذا ما حاول تعليمهُ فواجه المُعضلات، أن تَذهب إلى الشَّرق وتتحدث عن إلهٍ غيورٍ غير مُمكن ومُستحيل، فقد رأى هُناك مَناخاً مُختلفاً تماماً؛ فقد رأى هُناكَ العديد من الأُناس المستنيرين، ورأى الملايين من أُناسٍ لم يسمعوا بإلهٍ حاكمٍ مُسيطر.

أَدركَ الشَّرق قبل داروين Darwin بآلاف الأعوام بأن الوجود وجود مُستقل وغير مَخلوق؛ أدركَ أنَّ الوجود وجود مُتطور لا بدايةَ لهُ ولا نِهاية، مُحاولات أُجريت ولا تَزال لِمنعِ كُتُبِ داروين في التَّطور من التَّداولِ والتَّدريس، وقد أُجبرت الجامعات في الولايات المُتحدة على نَظرية الخَلق لا التَّطوُّر، أما اسم داروين فلا يُمكِنُ حتى ذِكرهُ .

لا وجود لأيِّ شاهدٍ ولا دليلٍ عِلميٍّ على نظرية الخَلق التي تَرويها الأديان بينما تُوجد العديد من البراهين على

فَرضية الوجود المتطور.

تَقول نَظرية الخَلق في المَسيحيَّة أنَّ اللّهَ خَلَقَ الوجود قبل أن يَخلِق المَسيح بأربعة آلاف وأربعة أعوام، أي أنَّ عالمنا هذا مُنذُ ستةِ آلافٍ عامٍ لا غير.

وعليهِ لم تَمتلك هذهِ النظرية مُتسعاً من الوَقت، وتوجَّب عليها حَشر العالم بأسرهِ في هذهِ الآلاف السِّتة من الأعوام، لا يُمكِنُ لهذهِ النَّظرية مَثلاً قبول الفرضيَّة الهندوسيَّة بأن (الريغ فيدا) قد كُتِبت مُنذُ تِسعين ألفِ عام، وعلى ذلك شاهدٌ علمي، بالطبع لا يُمكن تَدبُّر مِثلَ هذهِ الحَوادث في نَظرية العَهد القديم، ويُمكن إعطاء (الفيدا) وفقها قِدماً قَدرهُ خمسةُ آلافِ عامٍ مَثلاً .

في الحقيقة تَشرح (الريغ فيدا) حوادث انفجارات نَجميَّة وقعت مُنذُ تِسعينَ ألف عام، وقد أَجمع فلكيو العالم على أن انفجارات كَهذهِ حدثت، ولم تَتكرر منذُ تِسعين ألف عام، إن التَّفاصيل التي وَردت في (الفيدا) عن تِلكَ الانفجارات لا تَدع مَجالاً للشك بأنَّ أُناساً

كانوا أحياءً وشاهدوها أثناءَ كتابة (الفيدا).

عُثِرَ في الصِّين على هياكل عَظمية لِبشر ماتوا مُنذُ خمسين ألف عام مِمَّا أوقع اللاهوتيَّة المسيحيَّة بمأزِقٍ جديدٍ، فكيفَ عليهم التدبُّر؟ لكنَّ لحُسن الحظ هُناكَ وِفرَةً من عُظماءِ الحَمقى، حيثُ اقترح أحد اللاهوتيين الحل التالي: خلقَ اللّه العالم بالفعل في التَّاريخ الذي يحددهُ العهد القديم لكنَّهُ عَمَدَ لخلقِ أشياءٍ كَتِلكَ الهياكل بالفعل أيضاً لاختبار إيماننا.

تعني فِكرة الوجود المتطور أنَّ العالم أبدي، وبأنَّهُ لم يُخلق أبداً، وبأنَّهُ ماضٍ في تطورهِ نحو ذُرى أرفَع وأرفع من الوَعي.

لم يجرؤ المَسيح على التَّحدُث بأمورٍ كهذهِ إلا أنَّهُ تَحدَّث بأُمورٍ أُخرى، فقال مثلاً بأنَّ اللّه مَحبَّة مِمَا أوقعهُ في خِلافٍ مع اليهود؛ فاللّه عندهم ليس (عمَّاً لَكَ)، فكيف يُمكِنُ أن يكونَ مَحبَّة!

بالطبع لم يَعتبر بوذا ذُروة ذُرى الوَعي سِوَى مَحبَّةً نقيَّة،

هذا ما حاولَ المسيح أن يُقنِعَ بهِ أبناءَ جِلدتهِ إلا أنَّهُ لم يُفلِح، وسُرعانَ ما ظَنوا أنَّهُ يأتي بأشياءٍ جديدةٍ دخيلة على إرثهم الديني وسَيؤثِّر سَلباً ـ ولا سيَّما على أَجيالهم الشَّابة ـ ولِذلك قاموا بِصلبهِ، المسيح أوَّل من حاولَ تنوير الغَرب إلا أنَّ المَناخ لم يَكن مُلائِماً.

و في الحَقيقة مازالَ إلى اليَوم غير مُلائم.

و إلى الآن في الغَرب عِلم، وفي الشَّرق تأمُّل.

تُحيطُ بِنا العَديد من أَنواع الأَمواج و الطَّاقات لِذلِكَ يَجِد أصحاب التوجُّه الخارجي التأمُّل من أصعب الصُّعوبات، كما يَضيقُ أصحاب التوجُّه الدَّاخلي ذَرعاً بالعلم، وتجاربهِ وأساليبهِ الموضوعيَّة، فيجدونهُ مُخالِفاً تماماً لتوجهاتِهم، إنَّها وللأسف حقيقة وعلينا العمل لتغييرها.

لكنَّ الإنسان كما نَعلم داخل وخارج، ويَجب أن يكون للإنسانيَّة نِقاطٌ ولو صَغيرة يجتمعُ فيها كِلا النَّوعين مِن الطَّاقة، فعلى سَبيل المِثال؛ يَجب أن تَكونَ هُناك جامعات للبحث والاستكشاف الخارجي ـ ويوجَد

الكثير مِنها ـ وجامعات أُخرى للبحث والاستكشاف الدَّاخلي، تدريجياً وبِبُطء سيأخُذ كُل نوع من هذهِ الجامعات صفاتهُ المُميزة لينتهي الأمر بالانفصال التام.

يَعرِف جميعنا الجَّامعات الخارجيَّة «كامبردج – أكسفورد»، أما بالنسبة للجامعات الدَّاخلية، فتعالوا نتعرف على إحداها، والتي توجد في الهند.

تُدعى هذهِ الجامعة نالاندا *Nalanda*، وقد وجدت قبل كامبردج وأكسفورد بفترةٍ طويلةٍ، كان في نالاندا حوالي ألفَ أُستاذ، وقد توجَّبَ عَليهم أن يكونوا جميعاً من المُتأملين، ما لم يُمارس أحدهُم التأمل لفترةٍ طويلةٍ لا يوجد لديهِ ولو بصيصَ أمل بأن يكون طالباً هُناك، جميلٌ أن نَعلم أنَّهُ كان لِتلكَ الجامعة أربعة بوابات على كُلٍّ منها بوَّابٌ لكنَّهُ ليس كالبوَّابين، ما لم يَستطع المتقدِّم الإجابة على أسئلة البوَّاب؛ ما لم يحظى المتقدِّم بقبول البوَّاب وَرِضاه، لن يكون هُناك إمكانيَّةً بأن يُصبح طالباً، سَيُرفَض أمام تِلك البوابة، ولا حاجةَ به

للدخول ومقابلة الأساتذة، فالبواب مُتأمِّلٌ مِثلهُ مِثل الأُستاذ.

أن يَقبلَكَ بوابُ نالاندا أمرٌ عَظيم، وأعظم مِمَّا تتصوَّر، فقد أُتيحت أمامكَ فُرصة عَظيمة، لم تُعنى تِلكَ الجامعة سوى بأمرٍ واحدٍ، وواحدٍ فَقط: يَجِب تَذكير كل إنسان باستنارتهِ؛ وجَّهت كُل النُّصوص والمخطوطات والمقالات باتجاهِ هَدفٍ واحدٍ لا غَير، وهو اصطحابك إلى الدَّاخل.

كانت هُناكَ العديد من الجَّامعات المُشابهة تُدعى إحداها تاكشيلا *Takshila* لكنَّ الهدف واحد وهو الدَّاخل الإنساني.

لما لا يكون في كلِّ جامعة قِسمين مُختلفين مُتكامِلين، ثُمَّ لا حاجةَ للصراعات والخلافات، هذا مُمكن.

لكنَّ الأهم اليوم فِعل شيءٍ لِردم الهوة بين الشَّرق والغرب.

إذا كان للإنسان داخل، وبالتأكيد لهُ خارج فعلى أي نِظام حياتي مُراعاة الاثنين مَعاً ، إنَّ إمكانية كهذهِ؛ أي تناول الإنسان بداخلهِ و خارجهِ؛ بماديتهِ وروحانيتهِ كوحدة مُتكاملة هو السَّبيل الوحيد والأمل الوحيد لنجاة هذا الكوكب الجميل، وإلا فنحنُ على حافةِ انتحارٍ جماعيٍّ لِكُلِّ ما في هذا الكَوكَب.

الفَصل الثَّاني

الموسيقا الإلهيَّة

أجمل ما في هذا الوُجود مُعلِّمٌ جَميل؛ مُعلِّمٌ يتلاعبُ بأوتارِ قلبك كما لو كانَ موسيقيَّاً بارعاً يُقدِّمُ سيمفونيته الرَّائعة... ما هذا...؟ أَهوَ سِرَّهُ لِجعلِكَ تُغني أُغنيتكَ أكثر وأَكثر؟

الموسيقا هي اللُّغة الوحيدة التي تَقتَرب إلى حدٍّ بَعيدٍ مِن الصَّمت؛ يُمكِنُ اعتبارها الصَّوت الوحيد الذي يولِّد اللا صَوت... لا تُحمل الموسيقا أيَّة مَعاني، وإنَّما هي فَرح؛ إنَّما هي مَرحٌ عَذبٌ سائِغٌ للشارِبين؛ إنَّما هي قَداسةٌ واحتفال... الموسيقا هي اللُّغة الوحيدة القادرة بطريقةٍ ما على التَّعبير عمَّا لا يُمكن التعبير عنهُ.

أَقدم أنواع الموسيقا التقليديَّة هي تِلكَ المولودة من

التأمُّل، لم يجد المتأملون لغة تمكِّنهُم من التَّعبير عن اختباراتهم فأوجدوا أدوات بمقدورها إحداثُ أصواتٍ دون معانٍ، وإنَّما فَرِحَ و رَقَصَ فَقط.

أن تكتَشف لُغةً لَيست كاللُّغات لا بُدَّ أن يَكونَ حَدثاً عَظيماً بالنسبة لمن اكتشفهُ... لا تَحمِل الأَصوات بحدِّ ذاتها أيَّ مَعنى، وإنما أتت المعاني كضريبةٍ شديدةِ الوطأةِ عليها... الصَّوتُ شيءٌ طبيعي... تَهُبُّ الرِّياحُ في شجرةِ الصَّنوبر، فتُحدِثُ صوتاً خاصَّاً وموسيقا... يَنحدر النَّهر من قِمَّة الجَبل عبر الصُّخور، فيُحدِثُ صَوتاً آخر و موسيقا أُخرى.

نعم... لا بُدَّ وأنَّ الأمر كذلك... أصغى المتأملون الأوائِل إلى الصَّمت في داخلهم، فأدركوا صعوبةَ مُشاركتهِ، ليس الأمر بهذا التعقيد، خُذ الأصوات، وانتزع مِنها معانيها، واستبدل بهذهِ الأخيرة تناغُماً يخترقُ قلبك إلى أعماقهِ؛ تناغُماً لا يقول شيئاً؛ تناغُماً يقول ما لا يُقال أيضاً.

تَعتَمِد الموسيقا العاديَّة على أصوات، لكنَّ هذا نِصف الحقيقة؛ نِصفها الأقل أهمية، فعندما تُصبح الموسيقا أَعمق وأَعمق تُصبح لحظات صَمتٍ بين صوتَين.

مَثَل شَعبي قَديم في الصِّين يقول « عندما يُصبح الموسيقي موسيقياً ناضِجاً يَرمي كُلَّ آلاتهِ الموسيقيَّة »

لأنَّ الآلة تُحدِثُ الأصوات فَقط، أما الصَّمت فتخلقهُ الموسيقى، وعند نقطة الاكتمال تُصبحُ حتى الأصوات التي تَحدُث بينها لحظات الصَّمت أشياءً مُزعجة... يُمكِنُ قول الشَّيء ذاتهُ على جميع الفُنون، فالصَّياد المُكتَمل مَثلاً يُحطِّم قوسهُ ونبالهُ، وتغدو عَيناه وحدهما قادرتَين على إسقاط الطَّير من السَّماء... ما القوس والنِّبال سِوى وسائل.

نعم يُمكِنُ تطبيق ذلك على كُلِّ الفنون التي ابتكرها الإنسان من رَسم وموسيقا ونحت وسواها، فعندَ بُلوغ القِمَّة لا يعودُ أحدنا بحاجةٍ للسلمِ الذي ساعدهُ على بُلوغها.

ارتبطت الموسيقا القديمة بالصَّمت والتأمُّل، وهُناكَ قصة جميلة تُروى عن أحد الولاة في الشَّرق، وقد عاشَ في مدينة تدعى Lucknow، وقد اشتهرت هذه المدينة لقرونٍ طويلةٍ بالثقافة والفُنون.

قَبل التَّحدُث عن قِصتنا الرئيسيَّة، وهي حَول موسيقي دعاهُ الملك ليعزِفَ في قصرهِ، دعنا نَتحدث عن قصةٍ أُخرى حدثت مع هذا الملك نفسهِ.

كان الملك آخر حُكام Lucknow، وكان يلقَّب الملك عندهم "نيبب" Nabob ... كان نيبب رجلاً حكيماً وشجاعاً وما يهمنا أنَّهُ كان مُحباً للموسيقا .

أخبر الملك ذات ليلة { أثناء الهُجوم البريطاني على الهند} و بينما كان يستمع لموسيقا تَعزُف أن القوات البريطانية أصبحت أقرب وأقرب من مدينتهِ، فقال «فلنرحب بهم، إنَّهم ضُيوفنا ورُبَّما كانت هذهِ المرَّة الأولى عَبر التاريخ التي يسمى فيها الغُزاة ضُيوفاً، أعِدوا ما يَلزم لراحتِهم وسأستقبلهم في البلاط غداً... إذا كانوا يُريدون البَقاء

هنا فليكن، وإذا أرادوا السُّلطة والقوة علينا فليكن... لا داعي للقسوة غير الضَّرورية ولِتجري الأمور بطريقةٍ حضاريَّة... أما الآن فلا أُريدُ إقلاق راحة الموسيقيين فَقط لأن ثُلَّة من الحَمقى أتت تُهاجِمُنا»

كانَ الملك مُهتماً بدعوة كل مُوسيقي بارع للقُدوم وتقديم مُوسيقاه في القصر، إلا أن موسيقياً واحداً رَفَضَ القُدوم فسأل الملك عن السَّبب !

فأُجيب بأنَّ لهُ شُروطاً حَمقاء وغريبة، يَشترط الموسيقي ألا يتحرك أحد ولو حركة واحدة أثناء العَزف؛ يجب ألا يَتمايل أي حاضر مع المُوسيقا ويَجب أن تَقطع رأس كل من يُخالف الشُّروط ... أكَّدَ الموسيقي بأنَّهُ لن يحضر ما لم يتلقى وعداً قَطعياً بذلك .

قال الملك « كان عليكُم إخباري قبل دعوتهِ، أخبروه أنَّ شروطهُ مَقبولة، أعلنوا ذلك في مدينتنا الجميلة، وعلى الذين لا يطيقون شرطاً كَهذا عدم الحُضور. »

رَغمَ كل هذا حَضَرَ عشرة آلاف إنسان للاستماع

للموسيقا ... بالطبع، كان الملك عند وعدهِ فقد أحاط ألف جُندي يحملون سيوفاً بالمستمعين وقد أُمِروا بإحضار كل من يتحرك أو يتمايل مع العَزف.

اثنا عشر رأساً فقط هي التي تحركت مُنتصف تلك الليلة، فسأل الموسيقي « هل سيتم الوفاء بالوعد؟»

فقال الملك « نعم، هؤلاء هم من تحركوا أو تمايلوا عند سماع الموسيقا؛ هؤلاء هم من نَسوا كُلَّ شيءٍ عن الشَّرط و الأمرُ لك ».

و من دهشة الجميع أن الموسيقي قال « وحدهم هؤلاء الاثني عشر من يستحق سَماعي، فلينصرف هذا الحَشد الآن لأنَّ أحداً مِنهم لم يأتِ لسماع الموسيقا بل جاؤوا للدفاع عن الحياة، لأن حركة واحدة كانت كافية للموت؛ لأنَّ التلفُّت وحده كان خَطيراً، كان اهتمامهم الأول هو حياتهم، والموسيقا ليست لهم، فليذهبوا الآن والآن فقط تبدأ الموسيقا الحقيقيَّة، سأعزف الآن لك ولهؤلاء الاثني عشر وسنستمتع حتى الصَّباح»

كان اختباراً غريباً بالفعل ... وسأل الملك «ألا تبدو طريقةً غريبةً في اختيار الجمهور الحقيقي؟»

أجاب الموسيقي «رُبَّما تكون غَريبة لكنَّها الوحيدة لمعرفة الإنسان الصَّحيح؛ لِمعرفة الإنسان الذي تَعني لهُ الموسيقا شَيَئاً ثَميناً؛ شيئاً أثمن من الحَياة»

لقد نَسوا كُلَّ شيء عن الشَّرط، فقد انسابت الموسيقا إلى قلوبهم، فبدؤوا بالتمايُل؛ دخل إلى وجودهم العَميق نوع من الرَّقص... عزف الموسيقي لهذه القِلَّة بقية تلك الليلة، وأُخبر الملك بأنَّهُ لا يُريد أيَّة مُكافأة وتكفيهِ مُكافأة إيجاد من يستطيع سماعَ الموسيقا، وقال للملك «أرجو أن تُكرِمَ هؤلاء، فلهؤلاء تُعتبر الموسيقا تأمُّلاً»

عِندما تنظر إلى هذه القِصة يمكنك مُلاحظة أحد احتمالين، إما أن يكون المتأملون هُم من اكتشف الموسيقى أو أن يكون الموسيقيين هم من اكتشف التأمُّل، لكن الرَّابط وَثيق وعَميق... لكن التأمل اختبار أعمق وأبعد لذلك يُفضِّل ترجيح الاحتمال الأول...

أوجَدَ المتأملون الموسيقا كلُغةٍ للتعبير بلغةٍ ما عن صَمتهم وسلامهم الدَّاخلي، ويُمكن أن يَفهمها الإنسان غير المُتأمِّل.

لا تتطلب الموسيقا القديمة تدريباً جاداًّ من العازف فَقط بل من المُستمع أيضاً؛ لا يُمكن لأيٍّ كان الاستماع لموسيقا الشَّرق التقليديَّة القديمة بل عليك أن تكون قادراً على التوافُق و التَّناغم مَعها؛ عليك أن تَكونَ قادِراً بطريقةٍ ما على التلاشي والسَّماح للموسيقا وحدها بالبقاء.

كان التَّلاشي اختبار جميع العظماء من الرَّسامين والموسيقيين والراقصين والنَّحاتين وسواهم عندما بلغوا أعمق إبداعٍ لَهم؛ لقد منحهم الإبداع طَعم التَّلاشي في الإبداع الكَوني... هذا ما مَنحهم أولى مَعارف التأمُّل...

نعم، كِلا الإمكانيتين مُمكنة... إما أن تكون الموسيقا قد قادت إلى التأمُّل، أو أن يكون التأمل قد مَكَّنَ من إيجادِ نغماتٍ للتعبير عمَّا لا يُمكن التعبير

عنه، وفي كِلا الحالتين تَبقى الموسيقا أعظم إبداعٍ تستطيعُ الإنسانيَّةُ إبداعهُ.

الموسيقا إبداع.

لكنَّنا وللأسف فقدنا كُلَّ اتصالٍ لنا بالموسيقا الحقيقيَّة، و كُلَّما أصبحت الإنسانيَّة أقل اهتماماً بالعالم الدَّاخلي أصبحت الموسيقا أخفض وأخفض، أما الموسيقا المُعاصرة فأخفض ما أمكن إيجاده، تُلامسك نعم لكنَّها تلامسك في أدنى المراكز الجنسانيَّة... الموسيقا المعاصرة جِنسيَّة، والموسيقا الكلاسيكيَّة القديمة روحانية... والأفضل إبداع الموسيقا على طريق التأمُّل أو عند بلوغهِ كلُفة للتعبير عن صمتهِ.

إذا كُنتَ تستمعُ لمُعلِّمك الصَّادق الأمين، واستطعت مِن خلال كلماتهِ سماعَ صوت الصَّمت، فقد حققتَ وحقق مُرادهُ، فما أتى بتلكَ الكَلمات، لنستخدمها كما اعتدنا استخدام الكَلمات، رُبَّما لا يكون المُعلِّم موسيقيَّاً بارعاً، لكنَّهُ قادر على تَحويل كلماتهِ إلى آلةٍ

موسيقيَّةٍ؛ قادر على إيجاد الحالة نَفسها من خِلال الكلمات، ولحظات الصَّمت بينها... عندما تبدأ بالاستماع إلى كَلمات المعلم تكون قد فَقدتهُ وفَقدتها، لأنَّكَ ستبدأ على الفور بالترجمة والتَّفسير؛ ستبدأ على الفور بالبحث عن التناقضات والتوافقات؛ ستبدأ بالقبول أو بعدمهِ، المهم أن حُكماً سيولد، وهذا ما تريد ولا يُريد... الهدف هو بداية الصَّمت فيك؛ بداية الصَّمت، وبداية الموسيقا والعُطور.

يمكننا البدء بالتغيير الفري من الكلمات التي اعتدنا عليها إلى الاستماع إلى الصَّمت، اقرأ ما بين السُّطور وستحقق على الفور انفجاراً من الصَّمت، ومن الموسيقا ومن القَداسة ... اقرأ ما بين السُّطور وستُلاحظ أن وروداً قد بدأت، وباستمرار تتفتح في وجودك.

نعم، المعلِّم الصَّادق موسيقي بارع، يعزف على أوتار القلوب، لكن عليك أن تكون حَذراً، فعندما تُدرك هذه الحقيقة أنت قادر بسهولةٍ على فِقدانها... حاوِل ألا

تفقدها.

إن حديث المعلِّم أقرب ما يكون إلى الموسيقا وأبعد ما يكون عن الأديان، والفلسفات، والنظريات واللاهوتيات، إن ما يقولهُ ليس بالمعاني، وإنما بتلك اللحظات من الصَّمت المطلق.

لكنَّها بالحقيقة ما هي لحظات فارغة ولا صامتة.

عندما تبدأ بخُطاك المتعثرة بين تلك اللحظات التي تَحسبها صامتة ستُفاجئ بأنَّها ليست صامتة؛ ستُلاحِظ بأنَّ ما تحسبه فراغاً ليس فَراغاً، وإنَّما فيضٌ من موسيقا غامرة.

فراغ لكنَّهُ الامتلاء الوحيد الموجود في هذا الكَون.

تُوجد طريقتان للاستماع، الأولى بالانتقال من الكَلمة إلى الكَلمة التي تَليها، والثانية الانتقال من صَمت إلى الصَّمت الذي يَليه... أما من اعتاد النوع الثَّاني من الإصغاء فسيُثيبهم الوجود ثواباً حَسنا من النَّشوة و الفَرح العظيمين؛ من اختبار الأبديَّة... الغنائم لا تُعَد ولا

تُحصى... أما من اتبع الطريقة الثانية، فسينتهي بهِ المَطاف بأقصى احتمالٍ مُمكن بنظامٍ فِكريٍّ مُحدد، ويا لها من نِهاية مُحزنة، فقد أضاعَ فُرصتهُ، واتبع مَلايين النُّظم الفكريَّة التي ما عَملت إلا على انتزاع الإنسان مِن حقيقتهِ و من عالمه الدَّاخلي.

تنشأ جميع النُّظم الفكريَّة من الفِكر، وتنشأ لحظات الصَّمت من أبعادٍ تتجاوزه، وتَجاوز الفكر واحد من أهم الأهداف لِرسالة جميع المُعلمين.

تقول الكُتب المُقدَّسة: « في البدء كانت الكَلمة » كلمة الله و الكلمة هي « الله.»

ألا تَرى أن هذه البداية خاطئة، فالكلمة صوت ومعنى ولا يمكن الحُصول على المَعنى إلا بوجودِ شخصٍ آخر، أما الصَّوت بحدِّ ذاتهِ، فلا مَعنى لهُ... قد يكون من الأفضل لو قالوا: كان في البداية صوت فقط، لكن لا يُمكن أيضاً للصوت أن يكون بداية لأنَّهُ لا يمكنهُ التواجد هو الآخر دون أُذُنٍ تَسمعهُ، البداية الأكثر

صَواباً قولنا « في البدء كان هُناك صمت فقط »... فما بالك بعالم بدايتهُ خاطئة، ومن تلك البداية الخاطِئة انطلق!!

الصَّمت أعظم اختبار روحي.

الكون بأكمله مُكوَّنٌ من صَمت، ويُمكن التعبير عن الصَّمت بصوتٍ عندما يكون هُناكَ من يستَمع، ويمكن بعدها لهذا الصَّوت أن يُصبح ذا مَعنى عندما يتواجد من يعطيهِ ذلك المَعنى، أما الصَّمت فنقاءٌ مُطلق لا يُمكِنُ لمسهُ بالأيدي.

إن نقاء الصَّمت هذا، هُوَ أُلوهية.

هذا النَّقاء هو ما يتعرف عليه كل مُتأمل، ويَقف كُلُّ مُتأمِّلٍ عند بداية الكون، فليست المسألة مسألة وقت... يُمكن تَحويل كل لحظة إلى بداية للكون إذا استطعنا التلاشي في الصَّمت، والصَّمت غير قادر على تقسيم الناس، لأنَّهُ اختبار وليسَ نظرية فِكريَّة.

إنَّ اختبار هذا الاختبار؛ إن اختبار الموسيقا الإلهيَّة هو

رسالة كُل مُعلم إليك، فحاول ألا تتبع أي اتجاه، أو عقيدة؛ لا تعتنق أيَّة فِكرة بل استرح؛ استرح في ذلك الصَّمت الكوني وعندها ستتذوق حلاوة الموسيقا؛ ستُدرك عندها أن الوجود سِرَّاً وليسَ بؤس؛ إنَّهُ سرٌّ يُمكِنُكَ أن تَحياه، ويمكنك أن تحبهُ لكن لا يمكنك أبداً أن تجعلهُ جزءً من مَعارفك... يمكنك أن تكون جزءً منهُ لكن لا يمكنهُ أبداً أن يكون جزءً منك.

نعم ... إنَّهُ سِرَّهُ.

سِرُّ المعلِّمِ الصَّادق الأمين.

ذَلك الصَّمت.

عِش بالصمت، وستجد نفسك تحيا بفرحٍ عَظيم يَغمر الأرض... الأشجارُ تَضحكُ فَرحاً؛ الطيورُ تضحكُ فرحاً ولا يوجد حَزانى سوى البشر... وحده الإنسان يبدو حَزيناً ولا سَبَبَ لهذا الحُزن سِوى التعلُّقِ بالكلماتِ والمعاني.

لِتكُن حياتك عامرة بالصَّمت الرَّاقص؛ لِتكن عامرة بالصَّمت الضَّاحك، وعندها تكونُ قد دَخَلتَ مَعبد

الألوهيَّة الوحيد.

لا تُبالي بِكُل الأفكار التي تَحشو بها رأسك، فجُلَّها حماقاتٌ وَبَلاهات، تَجاهلها؛ اسحقها؛ تخلَّص منها كائنة ما كانت، واملأ وجودكَ بالفرح... واجعل كل خليَّةٍ فيكَ ترقص مع الرَّقص الكوني... هذه هي الثورة الحقيقيَّة؛ هذا هو التحوُّل الحقيقي الوحيد القادِر على جَعل هذه الأرض الجميلة مَملوءة بالفرح.

وحدهُ غباؤنا يدفعنا للاستماع للحمقى من جميع الأنواع، هؤلاء الحمقى الذين لا هدفَ لَهم سوى جعلنا حزانى، لأنَّهم لو نجحوا في جَعل الأرض حزينة لتخلصوا من كُلِّ إمكانيَّةٍ لجعلنا متوافقين مع هذا الاحتفال الرَّائع الذي يُحيطُ بنا، أما الآن فَنحنُ كذلك لأن احتفالنا الكوني قد انتُزع منا، ويُمكن تحويلنا بكُلِّ سُهولة إلى عَبيد؛ يُمكن تحويلنا إلى عَبيدٍ يُمكِنُ أن يُفعل بهم أي شيء دون أن نكون قادرين على الثَّورة.

وحده الفَرح يستطيع أن يصبح ثورة وثوراناً؛ وحدهُ

يستطيع أن يُصبح تحوُّلاً، فافرح الآن وتجاهل كُلَّ قادتك من السياسيين، ومُدَّعي التديُّن الذين ما فَتِئوا يُخادعون الإنسانيَّةَ لقرونٍ طويلةٍ... لا تُبالي بكل هذه الحشود فبمقدورنا التحوُّل إلى عَصرٍ جديد؛ عصرٍ ينعمُ الجميع فيه بالحب والفَرح؛ إلى عصرٍ يستطيع فيهِ كل واحد أن يحمل قيثارتهُ... لا حاجة لحمل الصُّلبان وليحمل كُلٌّ منا قيثارتهُ.

الفَصل الثالث

أينَ هي قوَّتك؟

قويٌّ... مُنتصر... مَهزوم...

كلماتٌ اعتدنا على سماعها، و وصفِ أنفسنا وغيرنا بها والأهم من الوَصف المقارنة... أتُرانا أَجَدنا الوصف والمقارنة، أم أنَّها مُجرَّدُ كلماتٍ هزيلةٍ، وتكمنُ القوَّةُ الحقيقيَّةُ في مكانٍ مُختلف؟

في الحقيقة يحتاج سؤالنا هذا لشيءٍ من الدِّراسة المعمَّقة، حيثُ يُمكننا الإجابة بنعم كما يُمكننا الإجابة بلا... أما الإجابة بنَعم، فيصعُب قولها والحظُّ الأوفر لقولنا « لا » تعال نقرأ ونستمتِع.

لا تتعدى المسألة مَسألة تلاعُب الفِكر بنا... كعادتهِ بالطبع... يَمضي غالبيتنا حياتَهُ مُقاداً بالقوة والسُّلطة ودرجاتها و مقارناتَها و قِلَّةً نادرة من تَلحظ في النَّهاية أنَّها

لم تكن على حَق ... يتحوَّل نَهم القوَّة والسُّلطة عند البعض إلى وظيفة لا واعية، فلا يعودوا قادرين على إدراكهِ، وحدهم الآخرون من يستطيع ذلك.

ربما كان نَهم السُّلطة أعظم وباء عانت منهُ الإنسانيَّة عَبر تاريخها الطَّويل، وتَعمل كل مُنجزاتنا الفكريَّة من نُظُم تعليميَّة و أديان و ثقافات على دَعم هذا المَرض و تقويتهِ باستمرار.

يُريدُ كل منا أن يكون ابنه أعظم رجل في العالم، استمع فقط لأمهات يتحدثن عن أبنائهنَّ، وسترى كما لو أنَّ إحداهُنَّ قد ولدت اسكندر الكبير، والأُخرى قَد ولدت ستالين، والثالثة قد ولدت.......

يندفعُ علمنا بمليارتهِ العِدَّة و يتدافعُ باتجاهٍ واحدٍ... نحو القوَّةِ و السُّلطة... وعلينا أن نَعلم أنَّ هذا التَّدافُع نَاتِجٌ عن خِوائنا الدَّاخلي، أما مَن أسعفهُ الحظ وتَعافى من داء القوَّة فهو رجلٌ ثَمِلٌ؛ مُسترخي كَما هو في مَنزلهِ... تحوَّلَ كامل وجودهُ لِشُكرٍ عظيم تجاه الوجود، ولم يَعُد

بحاجةٍ لشيءٍ آخر... أنتَ لم تَطلب شيئاً من كل ما وُهِبَ لَك؛ إنَّ كُلَّ ما وُهِبَ لكَ هو مُجرَّدُ هبةً من عَطايا الوُجود.

طريقان اثنان مُنفصلان... أولهما نَهَمُ القوة والسلطة، وثانيهما حُبُّ التلاشي في جَمال الوجود.

رُبَّما لا يكون كامل الوفرة من الحَظ من يظنُّ أنَّ نَهَمَ القوَّة والسُّلطة هو مُجرَّدُ إحساسٍ مؤقتٍ هزيلٍ وضعيفٍ لأنَّهُ في الحقيقة اعتلالٌ وقباحةٌ... تَعني فِكرة أن تكون قويَّاً أنَّكَ أقوى من أحدهم على الأقل، وأن تكون أقوى من أحدهم يعني أنَّكَ تدَّعي أفضليتكَ عليهِ وهذا بدورهِ يعني أن تأخُذ منهُ كُلَّ جَمالهِ وبهائهِ، وتُدمِّر فرديتهُ وتُجبرَهُ على أن يكون عبداً، والفِكر القَبيح المُعتل وحدهُ من يستطيعُ فعل ذلك.

هُناكَ قوَّةٌ أُخرى بِكُلِّ تأكيدٍ رُبَّما تكون أكثر اقتراباً من العالم الدَّاخلي، ولا تَعتمد كسابقتها على الآخرين و ردود أفعالهم، وبالتفضُّلِ فوقهم... إنَّها موجودة، ولكن

علينا توخي الحَذر فربَّما تكون تِلك القوَّة اختباراً حقيقيَّاً وربَّما لا تَكون... هل لاحظتَ قوَّةَ الوردة عندما تتفتَّح بتلَّاتِها الصَّغيرة ؟ هل لاحظتَ تِلكَ الطَّاقة المتدفِّقة وذلك الأَلق؟ هَل لاحظتَ قوَّةَ النُّجوم في إضاءتها لظلمة السَّماء دون أن تَطلُب لا تفضُّلاً، ولا تَحكُّماً؟ هل لاحظتَ قوَّةَ أصغَر الوريقاتِ تَرقُصُ تحتَ الشَّمس؛ هل لاحظتها تَرقصُ تحتَ المَطر ؟هل تأمَّلتَ جمالها وفرحها؟ لا علاقة لها بأحدٍ، بل أنَّها ليست بحاجةٍ لأن ينظُرَ إليها أحد.

إنَّها الحريَّةُ الحقيقيَّة؛ إنَّهُ استقلالٌ حقيقي... إنَّها الطَّاقة القادرة على إرشادِكَ إلى أصلِ وجودك؛ إلى المكان الذي تُشرِقُ منهُ حياتك كُلَّ يوم... لكن رُبَّما يكون من الأفضل عدم تسمية هذا قوة، ففي ذلِك خطأ.

هل تستطيع أي معنى لكلمة " قُوَّة " غيرَ مَعنى التفوُّقِ على أحدهم؟ وهنا نقعُ في شِركٍ خطأ، رُبَّما لا يَسلمُ منهُ العديدون من عميقي الفَهم والمعرفة... تُدعى إحدى

الدِّيانات المعروفة في الشَّرق جاينا أو الجاينية Jainism،
إنَّ المعنى اللُّغوي للكلمة جاينا ، هو المُنتصر ومما لا شَكَّ
فيهِ أنَّ المعنى الأصلي للمُنتصر هو ما ذكرناهُ عن قوةِ
الوردةِ والنجمة... لكن المدققين في الأعراف القديمة
لتلك الديانة يلاحظون أنَّهُ عندما يوصف أحدهم
بالمُنتصر يوصف أيضاً بالمنتصر على نفسهِ... عُدنا إلى
حتميَّة من لا بُدَّ من الانتصار عليهِ.

أسموا مُعلمهم الأكبر مهافيرا Mahavera، علماً أن
اسمه الحقيقي غير ذلك، وتعني الكلمة مهافيرا
"المُنتصر العَظيم" لكنَّ اللافت في الأمر أنَّهُ مُنتصرٌ على
نفسهِ أيضاُ.

مِمَّا لا شكَّ فيهِ أن التدريب والإعداد الروحي بحاجة
لبعض التدريبات التي تبدو شاقَّةً، وهنا تقع أخطاء لا
حصر لها حتى يتحوَّل التدريب الرُّوحي لِصراع مع
الجَّسد ، وتعذيب لهُ دون مُبرر ولا حاجة ولا فائدة أحياناً.
دُعِيَ المهافيرا مُنتصراً عظيماً لأنَّهُ أمضى ما مجموعهُ

أحد عشر عاماً جائعاً من اثني عَشَر قضاها في التَّدريب {بالطبع ليست أحدى عشر عاماً مُتواصلة، وإنَّما قُدِّرت كمجموعٍ نِهائي، فكانَ مَثلاً يجوعُ شهراً كاملاً ثُمَّ يأكل يوماً، ويصوم شَهرين مُتتابعين ثُمَّ يأكل يومين} ويُجمع العارفون على أنَّ صياماً كهذا لعامٍ واحدٍ يكفي ليستعيد أحدنا استتارتهُ، ولا أدري لم العَشرة الباقية، رُبما كان في الأمر سِر، لكنَّ القوة الحقيقيَّة شيء، وتعذيبُ هذا الجَسد المِسكين شيءٌ آخر.

في الحقيقةِ لا يوجدُ اختلافٌ بين تعذيبك للآخرين، وتعذيبك لِنفسك، باستثناءِ فَرقٍ واحدٍ هو أنَّ الآخرون قادرون على الدِّفاعِ عن أَنفسهم؛ هُناكَ إمكانيَّة لذلك على الأقل، ولكن من سيدافع عنك عندما تبدأ بتعذيبِ نفسك...؟ تستطيع فعل ما تشاء بنفسك، وهذه مازوشية Masochism لا غير، ولن تُفيدَكَ بأيِّ شَكلٍ من الأشكال بالتقدُّمِ نحو أصل وجودك، ولا يُمكِن تسميتها قوَّةً.

دعنا نُسمي البَحث عن أصل الحياة طاقة حُبٍّ، أو طاقةَ سلامٍ، أو طاقةَ مَحبَّةٍ، أما كلمة "قوة" فقد تمَّ إفسادها على أيدي البعض سواءً أكان مع النَّفس، أو مع الآخرين... يُمكِنُ وصفَ من يتسبَّبَ بتعذيبِ الآخرين بأنَّهُ غير مُتناغمٍ مع الطَّبيعة، أما من يَتسبب بتعذيب نفسهِ فلا يُمكِنُ وصفهُ إلا بالاعتلال النَّفسي، لكنَّنا وللأسف جعلنا من فئة المُعتلين هذهِ أئِمَّةً وسادةً لنا، وكل ما يقدِّمونهُ لنا هو كيفيَّة تَعذيب النَّفس والجَّسد.

هُناكَ من يُقيمون لأنفسهم أُسرةً وفِراشاً من الشَّوك ينامون عليها، و لا أَدري أيُّ تدريبٍ روحيٍّ يُمكِنُ إنجازهُ و الإفادة منهُ بهذهِ الطَّريقة... إنَّهم مُجرمون ليس إلا... لكن الضَّحية هُنا مُختلفة تَماماً عمَّا أعتدنا؛ إنَّها جسدٌ مِسكين لا يستطيعُ حتى الذَّهاب إلى المَحكمة.

علينا إذاً التَّحلي بالحكمة فيما يتعلق بالقوة الداخلية، وإلا سيعود انقيادنا لِحُبِّ السُّلطة للظهور من جَديد... يعودُ للظهور بشكلٍ مُختلف، حيثُ نبدأ بالسعي الجَّاد

للتغلُّب على أَنفسنا.

الطَّريق الصَّحيح والوحيد هو تَحررك مِن الرَّغبة بالتحكُّمِ والسُّلطة ودخول فراغك الداخلي، ومعرفتهُ معرفةً يقينيَّةً... فراغك الذي هَربتَ منهُ؛ فَراغك الذي فَررت منهُ فوقعت في مَهاوي القوَّةِ و السُّلطة... حاول الآن الإفادة من كُلِّ طاقتك وتوجيهها للتعرُّفِ على عَدميَّتَكَ، فلستَ بحاجةٍ للمزيد من تعذيب هذا الجَّسد الجَّميل بالمزيد من المازوشيَّة... تعرَّف على التلاشي والعَدَميَّة.

عندما تتفتح ورود عَدَميَّتِكَ تُشرق الأبديَّة في حياتك، وعنها فَقط تتحرر من فراغَكَ الدَّاخلي، فتتلاشى فيك كُلَّ حاجةٍ للآخرين و ردود أفعالهم.

لقد وجدتَ نفسك.

أما المُقادين فِكرياً لِحُبِّ القوَّة والسُّلطة فَهُم أُناس فروا بعيداً عن ذواتهم، و كُلَّما ابتعد الفِكرُ بالإنسان عَن ذاتهِ أصبحَ الأخير أكثر فراغاً في الدَّاخل، لكننا ببساطة نَسينا كُلَّ شيءٍ عن هذه الكَلمات... فراغ...

داخل... جَمال التَّلاشي في جَمال الوجود.

إنَّهُ صمت الصَّمت ؛ إنَّهُ موسيقا الصَّمت ولا يُمكنك أن تَجد فرحاً بمثل هذا الفرح... فرح النَّشوة السَّماويَّة العَذبة.

دعا هذا الاختبار بوذا لتسمية لقائهِ الأعظم بذاتهِ "نيرفانا " والنيرفانا في البوذية تعني الجنَّة عندنا ... لقاؤك بعدميتك يعني جَنتك، وعندما يَحيا أحدنا بسلامٍ مع هذهِ العدميَّة تتلاشى من حياتهِ كُلُّ أشكالِ الصِّراعات والتوتُرات والشُّكوك ... لقد وجد نبع وجودهِ الذي لا يَعرف المَوت.

لا يُمكِنُ تسمية هذا الاختبار قوَّةً بَل حُباً، أو صَمتاً، أو فَرحاً عَظيماً، لأنَّ الماضي قد أفسدَ حتى حُروف تلك الكلمة "قوة " وهي الآن بحاجةٍ للكثيرِ من التَّنظيف والتنقية، فلها دلالات خاطئة سيِّئة.

يحكم عالمن فئة من المصابين بمرض الدَّونيَّة لكنَّهم يَعمدون لإخفاءِ هذه الدَّونية بأيِّ نوعٍ من أنواع السُّلطة...

أيُّ نوعٍ من أنواعِ السُّلطة مَقبولٌ بالنسبةِ لَهُم، ولِذلك ابتدعوا العديد من الوَسائل... بِكُلِّ تأكيد لا يُمكِنُ أن يكون كل مواطنٍ رئيساً لدولتهِ لذلك قُسِّمت الدَّولة إلى ولايات ومُحافظات مِما مَكَّنَ عدداً إضافيَّاً مِن الجلوس على مقاعد الحُكم، كَما أحدثت وزارات ورئاساتها ونياباتها مِمَّا مَكَّنَ حشداً إضافيَّاً من الجُّلوس... يُجمِعُ كُلَّ هَؤلاء مَرضٌ واحِدٌ هو عُقدة الدَّونيِّة.

لا يَملِكُ هؤلاء سوى هَياكِلَ فارغة يُمكِنُ أن تنهار في أيَّة لحظةٍ، لأنَّهم يُدركون جيِّداً مأساة فراغِهِم الدَّاخلي ... في الدَّاخل لا شيءَ سِوى الخِواء، وفي الخارج صِراعٌ على السُّلطة.

لم تَكن مُصادفةً على الإطلاق بأنَّ أربعة وعشرين مِن كِبارِ مُعلمي اليانيَّة قد قَدِموا من عائلاتٍ مَلكيَّة... كان بوذا أميراً... ما الذي حدثَ لهؤلاء؟ تَرى الهندوسيَّة أنَّ "راما"و"كريشنا" تُجسِّدان اللّٰه على الأرض، و قد

أتى كِلاهُما من عائلاتٍ ملكيَّةٍ... يَبدو كأنَّ الدَّمَ المَلكي وحدهُ قادرٌ على تحقيقِ الاستنارة.

ليست المسألة كَذلك بالطبع، لكنَّ هؤلاء عَرَفوا القِمَّة منذُ بداياتِ حياتهم، ولم يُفلح الاختبار المستمر للسلطة في القِمَّة بالتغلُّب على الفَراغ الدَّاخلي لديهم، و للبحث عن جوهرهم الدَّاخلي فَضَّلوا إنكار تلك القوَّة، وعِندما وجدوهُ وجدوا جَمال الحقيقة، وحقيقة الجَمال، وقالوا للعالم " ها قد وصلنا للبيت "

رُبَّما يستغربُ بعضنا لِمَ غادرَ هَؤلاء مُلكهم وممالكهم، وقد كانَ لديهم كل ما يحتاجونَ من قُوَّةٍ و سُلطةٍ ومالٍ، ما دام الدَّاخل فارغاً تَماماً لا يكفي ما سَبَق ومثلهُ وضعفهُ... المنزِلُ جَميلٌ ومملوءٌ بالمال وبالأَثاث الفاخر لكنَّ لا صاحبَ ولا سُكانَ فيهِ... بهدفِ البَحثِ عن هذا الصَّاحب المَفقود تخلَّى هؤلاء عمَّا كانوا فيه وبدؤوا رحلة البَحث عن سلامِهم الدَّاخلي.

أمَّا الغالبيَّة من النَّاس العاديين والتي لم تَعرف القوَّة

والسُّلطة فتنتظر من بعيد لأصحابهما وعادةً ما تقول:" لو كان لي مثل فلان لرأيتُ من أكون، بالتأكيد سأكون شخصاً مُختلفاً، ولَتركتُ آثار أقدامي على رِمال التَّاريخ.." وقعنا من جَديد في شُرُكِ السُّلطة، ولكن ماذا عن هؤلاء الذين وُلِدوا والسُّلطة لديهم نَسيٌ مَنسيٌّ، وتخلَّوا عنها عندما أدركوا أنَّها خيبةٌ بخيبةٍ ما دُمتَ أنتَ في الدَّاخل.

وحدهُ التحوُّل الدَّاخلي قادر على أن يَهبك سلاماً، ومِن هذا السَّلام يطَّلِعُ حبك؛ ومِن هذا السَّلام يطلع رقصك وغِناؤك و إبداعك، ولكن تجنُّب هذهِ الكلمة " قوة "

لا زِلنا نُفكِّر ونُفكِّر، ولا يُفيد التَّفكير إلا عندما نَتزاحم ونَتصارَع في عالم القوَّة والسُّلطة، أما في الدَّاخل فالفكر كُفر وعقبة، وعليكَ التحوُّل منهُ إلى التأمُّل... علينا التحوُّل من التَّفكير إلى الصَّمت.

عندما نبدأ باختبار وجودنا الدَّاخلي تتلاشى من فورها تِلك الرَّغبة المريضة بالقوَّةِ والسُّلطة... إنَّ مُجرَّد إمكانيَّة

المقارنة غير مَوجودة... يُمكنك أن تَجِدَ اللّٰه في الدّاخل...

وما عساكَ تجد أَكثر.

الفَصل الرَّابع

ما هو الكَون

ليسَ هذا كسؤالِ عُلماءِ الغَرب والذي من المحتمل ألا يَعرف جواباً.

حديثنا عن الصَّمت حديثٌ قديمٌ جديدٌ مُتجدِّدٌ باستمرارٍ ذلك الصَّمت الذي لا نُدركهُ كأُناسٍ عاديين، ويُثملُ بهِ الحُكماء والعارفون باللّه و المتأملون.

نعم... ليس في هذا الكَون إلا الصَّمت؛ عِندما تتساءل مِمَّ يتكوَّن كوننا العظيم هذا، فَلن تجد جَواباً غير الصَّمت، لكنَّهُ ليس صمتاً مَيتاً؛ إنَّهُ صَمتُ المَعابد والزهور، وليس صمت القُبور... صَمتٌ حيٌّ، بل هو الحياة بكاملها... إنَّهُ أغنيةٌ دون كَلمات.

في الحقيقة هُناكَ إشاراتٌ، بل الآلاف مِنها تدلُّ جميعها على أنَّ عماد كوننا هو الصَّمت... انظر إلى الورود؛

انظر إلى الطُّيور تُحلِّق بجناحيها؛ انظر إلى النُّجوم في السَّماء؛ انظر إلى الأشجار والجِّبال... كل ذلك إشارات تشير إلى الصَّمت.

هذا الكَون بكاملهِ صمتٌ يَرقص، رُبَّما تَجد فيهِ أشكالاً مُتميِّزةً فريدة، ورُبَّما تَبدلت هذهِ الأشكال لكن الصَّمت وحدهُ ثابتٌ كأصلٍ وحيد.

لا تَكن واهماً وتظنُّ بأنَّ هذهِ الكلمات التي تقرأُها تقولُ شيئاً، ما هي إلا إشاراتٌ تُشيرُ إلى الصَّمت... إنَّهُ صَمتٌ حي.

ولكن لماذا لا نَعرف هذا الصَّمت ولا ندركهُ؟ لأنَّهُ وببساطة لا يُمكن ذلك، يُمكنك أن تُكوِّن ذلك الصَّمت ولا يمكنك معرفتهُ... لتتعرف عليهِ... لتعرفه يجب أن تكون بينكما مسافةٌ تَكفي للتحول أنتَ إلى عارفٍ، و هو إلى مَعروف.

نَعم ... لا تَستغرب، فأنت صمتٌ ليس إلا.

أنتَ صَمتٌ لكنكَ إلى الآن لن تَنظر بعُمقٍ كافٍ إلى

وجودك، وعندما يتحقق لكَ ذلك لن تَعود المسألة مسألة مَعرفةٍ، بل وجودٍ وكينونةٍ.

والآن.

لم يثمل الحكيم بصمتِ الوجود ونحنُ لا؟ ومِن المُمكن ألا تقتنع غالبيتنا بهذا السَّلام؟

نحنُ نَطوف مع الصَّمت ونثمَل بهِ كالحكيمِ تماماً لكننا لَسنا مُدركين بالوعي لهذهِ الحقيقة لأنَّنا خُدعنا بجميع أنواع الأشياء الغبيَّة في حياتنا، أما الحَكيم فقد تجاوز كُلَّ ما هو غير جوهري في الحياة، فلم يتبقى لهُ إلا الصَّمت يطوف معهُ و يثمل بهِ.

العالم كُلُّهُ صمتٌ صامِت، وينعمُ بصمتهِ.

في حياتنا المُعاصرة أصبحنا نألف ظاهرة تحوُّل العُلماء إلى الصُّوفيَّة، ومنهم من يقول بأنَّ النُّجوم تموتُ مثلنا وتتحول إلى ثُقوبٍ سوداء، لا يعلمون شيئاً عن ثُقوبهم السَّوداء ولا نَعلم شيئاً عن السَّراديب العميقة لموتنا... يقول العُلماء أيضاً بأنَّ النُّجوم القديمة ليست وحدها مَن

يَموت بل النُّجوم حديثة الولادة أيضاً هي ـِيْ تَهاوي مُستَمر، ونعلم جميعاً بأنَّ النجوم ليست أشياءً صغيرة... دخلت المسألة مَخابر العُلماء، ورُبَّما يُصبح من المقبول علمياً أنَّ كُلَّ شيءٍ قادم من العدميَّة، ولا بُدَّ لهُ من العَودة إليها ليستريح بعض الوقت، ورُبما يعود لنا ثانية.

رُبما لا يكون هذا الكَلام مَنطقياً، فكيفَ لوجودٍ بهذهِ العظمة القُدوم من العَدمية؟! لكن السؤال ليس سؤال مَنطق وعدم مَنطق لتبدو الأمورَ هكذا، ولا حول ولا قوَّة إلا باللّه.

ولِتحويل المسألة إلى مَنطقية بدأنا بابتداعِ بدَعٍ غير ضَرورية... لَم نَستطع إقناعَ أنفسنا بأنَّ هذا العالم الكبير قادمٌ من العَدمية لِذلك اخترعنا شكلاً مَنطقياً للّه نرضي به أنفسنا، وأوكلنا لهُ مُهمة خَلق العالم.

خَلق اللّه العالم هو النِّصف الأول من السُّؤال، ونصفهُ الثاني والبديهي هو من أين أتى اللّه؟ علينا ـِيْ النِّهاية أن نقبل بأنَّهُ أتى من العَدمية، فهل كان من الضَّروري

الإتيان به من ملكوتهِ الأعلى، وتحميلهُ كُلَّ هذهِ الحَماقات طيلة هذه القُرون، ألم يَكُن من الأفضل القُبول بمبدأ واحد بسيط، وهو أنَّ الوجود قادم من العَدميَّة و عائِدٌ إليها؟

ليست العدمية لا شيء بل كُلَّ شيء... العدميَّة هي كل شيء، وأن تُدرِك ذلك كاختبار وليسَ كَفِكرة، هو سَبيلُكَ الوحيد لتحقيق وحدتك مع الكون، وعندها يتساوى الموت و الحياة، فلا خَوف ولا مُشكلة في الأمر.

تَذهب إلى العَمل كُلَّ صباحٍ وتعود لتستريح في الليل أملاً بصباحٍ جديدٍ، وهكذا الأمر بالنسبة للموت، فقد زرت هذا الكوكب عدَّة مرَّاتٍ ثُمَّ عدت للاستراحة.

كنت هنا و ستبقى هنا, و أين عساك تذهب و ليس في العالم سوى هذا العالم... بعد الاستراحة تَصحو جديداً مُتجدداً مُنتعشاً... لا تَقلق بشأن المَوت فما هو إلا فُرصةً للاسترخاء مع الكَون؛ فرصةً للاستراحةِ في هُدوء العدميَّة.

وحدهُ المُتأمِّل يَستطيع إدراكَ ذلك... كلُما مَضى في تأمُّلهِ أعمق، مضى أعمق في اكتشاف عالم العدميَّة في داخله... عالم كامل من العدميَّة لتستمتع معه وبه، تجد هناك كُلَّ ما تُريد... راحة... نشوة... حياة... فقط تَعرَّف على عَدميتك، وستدرك أنَّها معبدك الوحيد.

يقول بوذا لتلاميذه "إذا قابلتني وأنت تمضي أعمق وأعمق في عدميتك، فاقطع رأسي على الفور، يجب ألا أكون عائقاً؛ يجب أن تبقى عدميتك مُلكاً لكَ دونَ مُشاركةٍ أو تقسيم"

إذا كان هذا العالم بحاجةٍ لشيءٍ، فهو بحاجةٍ لاختبار العدميَّة... ليس بحاجةٍ لاختبار اللّه؛ ليس بحاجةٍ لاختبار المعلمين... إنَّهُ بحاجةٍ لاختبارٍ واحدٍ فردي استقلالي تماماً لا يشوبهُ حضور أحدٍ سِواك... إنَّهُ اختبارُ وجودك.

إنَّهُ التفوق الحقيقي؛ إنَّهُ التفتح الأعظم لوجودك... ستشع عَيناك بنورهِ، وتلوح يداك بهِ ورُبما يُصبح رقصك جزءً من ثمالتهِ... لقد حققتَ تحولك الإنساني.

وما أحوجنا اليوم للملايين ممَّن حققوا هذا التحوُّل ليغمروا العالم بالفرح؛ ليغمروهُ بنور الوعي ومُوسيقا الرُّوح، فهذا وحدهُ قادرٌ على مَنع الحَمقى من السِّياسيين من القَضاء على العالم.

رُبَّما يَغيبُ عن بالنا أنَّ التدمير والتخريب أيضاً يَمنحان شعوراً مُعيناً بالقوة والسُّلطة كما يَمنح الإبداع الخَلَّاق ثَمالةً وجوديَّة وبهاءً، فقد تحوَّلَ كل من لم يستَطع أن يُصبحَ مُبدعاً إلى تدميري وبأسماءٍ مُختلفة... دينية... ثقافية... سياسية...

قِف الآن، واعلن رَفضك لِكلِّ هذا الماضي الإنساني القبيح، وعندها فَقط سَتَرى الشَّمس تُشرِقُ من جَديد؛ وعندها فقط سترى العالم يفيضُ بالحُب، وإلا لا بُدَّ أن يأتي وقت { أو أنَّهُ أتى بالفعل } يجتَمِعُ فيهِ عُظماء المجرمين والحمقى لتدميره... رُبَّما يستخدمون أسماءً جميلةً كالديمقراطيَّة والمساواة والعدالة لكنَّها أسماء تُخفي تَحتها حقيقة مُنظِّريها من غَير المُبدعين وقد

اجتمعوا انتقاماً من الخَلاقين المُبدعين... بالطبع يُمكن لمن لم يَستطع أن يكون موتزارت أن يُصبح بسهولةٍ هِتلر.

يُمكِن فَقط لمن حقّقَ صمتهُ الدّاخلي أن يُصبح خلّاقاً وما أَحوج عالمنا للمزيد والمزيد من هَؤلاء... وحدهُ إبداعهم؛ وحدهُ حُبهم؛ وحدهُ صمتهم؛ وحدهُ سلامَهم الطّريقُ لحمايةِ هذا الكَوكب الجّميل.

نَعم... ليس في هذا الوجود غَير الصّمت والفَرح والسّلام.

الفَصل الخَامس

مَن الذي أَخبركَ أنَّ الطُّيورَ على أَشكالها تَقع !!

طريق عودتك إلى المنزل؛ رحلتك إلى ذاتك صراطٌ مُستقيم، ويضيقُ أكثر كُلَّما اقتربتَ من النِّهاية أكثر وأكثر... وفي النِّهاية مَحكومٌ عليكَ باختبارِ وحدانيَّتَكَ التامَّة.

في المُجتمع؛ في حياة الحُشود لايُمكن العُثور على أيَّة حقيقةٍ، بل على العَكس تُكافِئ الحُشود بالصَّليب كُلَّ من يَعثُر على شيءٍ مِنها... البَحث عن الحَقيقة خَطرٌ جَسيم لكنَّهُ تَحدٍّ مُثيرٍ؛ لكنَّها تجربة رائِعة.

في التُّراث الرُّوحي للتيبت حِكمةٌ فَحواها "أنَّ من بَين مِئَةِ مريج و باحثٍ عن الحَقيقة يَضلُّ السَّبيل تسع وتسعون، ونادراً ما يصلُ واحدٌ إلى مرادهِ... وتَرتبط بهذهِ

الحِكمة قصَّةٌ صَغيرةٌ جميلة.

ـ في دير جَبلي بعيدِ تَقدُّمِ كبير الرُّهبان ـ في العُمر، وأراد أن يستخلِفَ أحدهم مَكانهُ، أرسل رَجُلاً شاباً إلى الدَّير الأكبر يسأل " تقدَّمَ كبير الرُّهبان عندنا ـ في السِّن ويريدُ من يخلفهُ... " بعد طريقٍ جبليَّةٍ طويلةٍ وصَلَ الشَّاب إلى الدَّير الذي يُريد... طلب لقاء المُعلِّم وسأله ما يُريد، فَقال الأَخير "الأمر واضح، سأرسل معك مِئةَ راهبٍ ".

فوجئ الشَّاب، وقال بأنَّهُ يُريدُ واحداً فقط، فقال المُعلم " أنسيت الحكمة التي تقول " يذهب مئة ونادراً ما يَصل واحد".

بالطبع يَعرف الشَّاب الحِكمة لكنَّهُ لا يَستطيع أن يَثق بها ثِقةً مُطلقة فَكيف يُمكِنُ أن يصل واحد فَقط من مئةٍ يَذهبون، لكنَّهُ لم يَكُن قادراً على مُناقشة كبير المُعلمين، مَضى ومَضى خلفهُ مِئة راهب.

لم يَمض الكَثير على مَسيرهم حتى استوقفهم بِضعة جُنود شَهروا سُيوفهم، وقالوا بفضاضةٍ "فقدت مَملكتنا

الصَّغيرة مَعلمها الرَّوحي ونُريدُ خَليفةً لهُ، المال وافرٌ والقَصرُ واسعٌ مُريحٌ، وسيكون المُرشد الإنسان الوَحيد المُتدين في المَملكة، وستكون مُهمتنا نَقل أوامر الإمبراطور لهُ، والرَّفض خَطيرٌ للغاية فها هي السُّيوفُ تَلمع . "

بدأ العَديدون من الرُّهبان المئة بالتفكير " إنَّها فُرصةٌ مُناسبة ومكانٌ قريبٌ مُريح، فَلِم الذَّهابُ بعيداً إلى الجِّبال، مَملكة غنيَّة؛ ديرٌ واسعٌ غنيٌّ، ويُمكنكَ أن تكونَ الرَّئيس الأول للبلاد... " لم يَقبل واحد العَرض بل كُثُر.

سألهم الشَّاب " أنسيتم ؟ "

فقالوا " أنت من نَسِيَ... إننا ماكثون هنا . "

فقال الجنود " نُريدُ واحداً لكن المعبد كبير، فإن أردتم القدوم جميعاً يمكنكم ذلك، وستصبحونَ جِزءً من المَعبد... سيكون الإمبراطور سعيداً للغاية".

لم يصدِّق الشَّاب ما حدث، فقد تَضاءَلَ حَشدُ الرُّهبان

إلى النِّصف.

ما هيَ إلا أميالٌ قَليلةٌ حتى أوقفَ حشدُ الرُّهبان حشدٌ آخر وقالوا "ابنة أغنى الأغنياء ستتزوج ونُريدُ أربعة رُهبان لإتمام المَراسم، أيام قليلة فقط والعطايا وفيرة... أيامٌ قليلة وتعاودون السَّير إلى وجهتكُم".

قبل أكثر من أربعة العَرض لكن الجُّنود هذه المرَّة لم يأخذوا إلا أربعةً فقط.

سُؤلَ الأربعة المُختارون "أين تذهبون، أَنسيتم أننا ماضون برسالةٍ ؟ "

فأجابوا "ما هي إلا أيامٌ قليلة، نُتمُّ مراسِمَ الزَّواج ونمضي في طَلبكم، طريقكم صعبةٌ طويلةٌ وسنجِدُّ في السَّير للحاقِ بكُم... فُرصةٌ ثمينةٌ، وهناكَ مُتسعٌ من الوقت ... نُكمل الزَّواجَ ونَذهب".

اختفى أربعةٌ جُدد مِنَ الرُّهبان.

استمرت الحال على هذا المِنوال، وبدأ الشَّابُّ يشعرُ بالخوف، واعتقد أنَّهُ من المُمكِن أن يكونَ الواصل

الوَحيد.

كانوا يجتازون النَّهر عندما أوقفتهم فتاة شابة جَميلة تَبكي و قالت " أرى الرَّحمة في وجوهكم جَميعاً...

أعيشُ مَع والدي، وهو صَيادٌ مَعروف، كانَ مِنَ المُفترض أن يعودَ صباح اليوم، ها هو المساء قد حَل، ولم يَعُد بَعد، والدتي مُتوفاة وأُريد من يقضي الليل معي... يَبقى هُنا حَتى الصَّباح وبعدها يُمضي حيثُ يشاء ".

أرادَ العَديدون البَقاء تِلك اللَّيلة لكن شاباً مِنهم قال "أنا قادِمٌ مَعك، فالرحمة أهم المبادئ الأساسية للمُعلم بوذا".

هكذا تتابعت الأمور، ولم يتبقى مع الشَّاب سوى راهبين، وصل الثلاثة إلى آخر قرية، وبعدها سيصلون إلى الدَّير الذي يُمكن رؤيتهُ الآن.

التقى الثلاثة في القَرية بمُلحدٍ قالَ "إن كانت لديكما الجّرأة فاقبلا مُناقشتي... أنا مُلحِدٌ لا أؤمن ببوذا، ولا بأي من مبادئهِ، ومستعدٌ لمناقشة كل النِّقاط وكُل التفاصيل".

قال الشَّابُّ للراهبين " لا تكترثا لهُ، كِدنا نصل، ها هو الدَّير... انظرا جمالهُ بين الثلوج الأبديَّة للهملايا ".

قال أحد الرَّاهبين "لن أَبرحَ مَكاني، وهذا الرَّجل يتحدى مُعلمي بوذا، سأبقى هنا، إما أن أقنعه بالبوذيَّة أو أن يقنعني بمبادئهِ".

راهبٌ واحدٌ فقط وصل إلى الدَّير برفقةِ الشَّاب الذي قال لمعلمهِ " مَررتُ باختبارٍ مُثيرٍ، ولم أعلم أنَّ تِلك الحكمة بهذهِ الدِّقةِ والحكمة".

قال الرَّاهب المعمر " طلبتُ واحداً، وعلمتُ أنَّهُ سيرسل مِئةً على الأقل".

قال الشَّاب " لكنَّكَ لم تُخبرني بذلك".

فأجابَ " لم تَكُن هُناكَ حاجة، هكذا تَجري الأمور في هذا العالم، ونحنُ محظوظون بأنَّ واحداً قد وصلنا... الإغراءات كَثيرةٌ وعديدةٌ وليس في الحياة ما هو مُطلقٌ، وعندما يَضل أحدنا السَّبيل لن يعود بإمكانهِ العودة ببساطة".

يتكوَّن الحَشد من أُناسٍ قد ضَلّوا جميعهم سَواءَ السَّبيل ويحدثُ أحياناً أن يُغادر أحد الشُّجعان حشدهُ يبدأ رحلتهُ للبحث عن الحَقيقة، لكنَّ ذلك بحاجةٍ للمزيد من الجُّرأةِ والشَّجاعة؛ بحاجةٍ للذكاءِ والثِّقةِ بالذات وبحاجةٍ لمعرفةٍ عميقةٍ بأنَّ الحَشد لن يدعك و شأنك.

لا تُحب الحُشود الأفراد الذين يحققون فرديتهم؛ فردية الفَرد تقضُّ مَضجع الحُشود... تُريد منك الحُشود ألا تَكون سِوى جِزءٌ من حشدهم، وعندما تَقف لِتُعلن بأنَّكَ أنت ولن تكون غير كذلك؛ عندما تَقول بأنَّكَ ماض بمفردكَ للبحث عن حَقيقة وجودك سَتجد الحُشود دينيَّة كانت أم فِكريَّة أم سياسيَّة دائماً في مُعارضتِكَ.

رُبَّما كان وراءَ ذلك تَفسيرٌ نفسيٌّ عَميق، إنَّ وقوفَكَ بثباتٍ وحيداً، وباتجاهٍ مَجهول، دون توجيهٍ أو حِمايةٍ من أحد تظهر لَهم بأنَّهم حَشدُ جُبناءٍ يلتصقُ الواحد مِنهم بالآخر كالخرافِ الخائفةِ ولا يُمضونَ بمُفردهم كالأسود.

لكنَّ الحَقيقة لَيست للخِراف الخائِفة لأنَّها لا تكملِكُ من الشَّجاعة ما يَسمَحُ للحقيقة بالبوح عن أسرارها وجمالها... إنَّ مَجد الحقيقة لَعظيم؛ إنَّ مَجد الحَقيقة وتألُّقها لَعضيمين بِلا حُدود؛ إنَّ أسرار الحَقيقة مُمتدة إلى اللانهاية ولا يُمكن إلا لقلبِ الأَسد الاستمتاع بِها... لا يُمكِن إلا لقلبِ الأَسد أن يَرقُص، و يُطرب بِها.

لا يُمكن إنكار وجود لحظات يَخفُقُ فيها قَلب الأَسد ضِعفاً أثناء ارتحالهُ وحيداً، والطَّريقُ تُصبح أَضيق وأَضيق باستمرار... وعند بلوغِكَ مُرتفعات أَعلى؛ عِندما تَقترب من قِمة جَبلك الدَّاخلي والطَّريق لا زالت تَزداد ضِيقاً من الطَّبيعي أن تتسبب أي التفاتة جانبيَّة بارتجافٍ كاملِ وجودك... خُطوة واحدة خاطئة كَفيلة بِنهايتك فالأعماق سَحيقة في كِلتا الجِّهتين.

و لِشدَّة الغَرابة أنَّهُ ورَغم هَذهِ الصُّعوبة لم يحدُث وإن سَقَطَ أحد الصَّاعدين، شَعر كل الصَّاعدين الباحثين عن الحَقيقة بالخوف، لكنَّ الوجود مُستعدٌّ دائماً

لتقديمِ المُساعدة... نعم ... يُساعدك الوجود دون قَيدٍ أو شَرط.

لا يُساعِد الوجود من لا يعرف في حياتهِ إلا حياة الأكاذيب، رُبَّما يتمتَّع هؤلاء ببعض القوَّةِ والسُّلطة لكنَّ سُلطتهم هذهِ هي من سيكون السَّبب في اندحارِهم... عَرفت هذهِ الأرض حضاراتٍ عِدَّة زالت جميعها بفعلِ قوتها وليست حضارتنا هي الأولى... عُرفت حَضارة الإتلنتس، ورُبَّما كانت لَهم حضارةً تَفوقُ ما نَحنُ عليهِ الآن.

في التَّاريخ الهندي وصفٌ لحربٍ حَدثت منذُ خمسة آلاف عامٍ، وعند اطلاعك على أحداثها وصِفات الأسلحة التي استُخدمت فِيها لَن تُصدِّق بأنَّها غير نَووية... بَلغت الحَضارة ما نحنُ عليهِ الآن، لكنَّ القوَّةَ بِيَد الجَّهلة والمُعتلين من حَمقى الحُشود، رُبَّما تتحول لقاتلٍ ذاتي.

حُشودٌ جاءت على إثرِ حُشودٍ، واختفت ولم يحدث أن سقطَ مُريدٌ واحدٌ من أيِّ ارتفاعٍ بَلغهُ... فما عليكَ سوى

الاستراحة والاسترخاء، وهذه خَيرُ حمايةٍ، وكُلَّما أصبحت أعلى ازداد حُبُّ الوجودِ لك.

يُمكنك أن تدعو رحلة البحث عن الحقيقة رحلةَ جعلِ نفسك حبيباً للكون، وعِندما تُصبِحُ حبيباً للكون تتلاشى فيكَ كُلَّ المخاوفِ كما لو أنَّ ظَلمةً دامسةً أتى نور الحُبِّ لِيُبددها.

لا تظننَّ أنَّ الكونَ كُتلةً ميتةً لا حياةَ ولا ذكاءَ فيه؛ لا تظننَّ أنَّكَ تحيا في كَونٍ عديمِ الذَّكاء والإدراك، بل على العَكس إنَّهُ ذكاءُ الذَّكاء الخالص الذي أتى منهُ الكَون... يُمكنك أن تدعوهُ حُبَّاً؛ يُمكنك أن تدعوهُ صَمتاً؛ يُمكنكَ أن تدعوهُ عدميَّةً، و لكن تذكَّر أنَّ ذكاءَ الوجودِ الوقَّادِ موجوداً دائماً... وحالما تتعلَّمَ فنَّ الثِّقة بالوجود تتجاوز كُلَّ المَخاوفِ، وستتعلَّمهُ لأنَّها طريقٌ لا عودةَ فيها.

عندما تَسمع كلاماً كَهذا ، وبأنَّ الكون مَعكَ، وأنَّ الوجود مُستعدٌّ لحمايتِكَ، فليس هذا مُجرَّدَ كلامٍ بَل

اختبارِ العارفين المُجرَّبين، ومن الطَّبيعي الشُّعور بالخوف ولكن لِمُجرَّد أن تُصبحَ مُدرِكاً لتلك الحِمايةِ المُحيطةِ بِكَ يتلاشى الخَوف ويبدأ الاسترخاء، عِندها يُمكِنَكُم المَضيَّ قُدُماً؛ يُمكنك السَّير بالطريق الأَضيق في هذهِ الحياة بعينين مُغمضتين، وهي في الحَقيقة حالُ مُعظم الواصلين... في النِّهايات الأَخيرة تُصبح الثِّقة مُطلقة، ولا حاجةَ لفتحِ العينين، بل أنَّهما تغلقان من تِلقاءِ نَفسيهما.

وحدهُ الخَوف من يُبقي العيونَ مفتوحةً، ورَغمَ بَقائهما مفتوحتين من المُمكِن لكَ القِيام بخطوةٍ خاطئةٍ، ولكن عندما تُصبح الثِّقة مُطلقة يتلاشى الخَوف والحَذر ويسودُ الاسترخاء، وعِندها تُرحِّب بكل رحابةِ صدرٍ بما يَختارُ لكَ الوجود... هذا هو الاختبار الوحيد القَادر على تحويلكَ من إنسانٍ ماديٍّ أرضي، إلى وجودٍ أَبَدي: إنَّهُ الاختبار القادر على تحويلِكَ إلى نورٍ مُنير.

أغلبُ بحثٍ عن الحقيقة هو البَحث الوحيد القادر على جَعلِكَ إنساناً بكُلِّ معنى الكلمة، وإلا لا يُوجد أيَّة

فُروقٍ جوهريَّة بينكَ وبينَ الحَيوان، وأمَّا حُشود الحُشود لم تُغادر مُستوى الحَيوان.

انفُض عن نَفسَكَ غُبار كُلِّ الحُشود؛ لا تَعتَرف بأيِّ أُمَّةٍ؛ لا تعتنق أيَّ دين... لا تُفاخر بانتمائِك لأيِّ زمانٍ أو مَكان بَل اجعل الوجود بأكملهِ كُلية واحدة لَك... لماذا تَختار الحُدود الضَّيِّقة للأشياء الصَّغيرة حدوداً لكَ؟ عندما تَكون الكُليَّة مُتاحة وحدهُ الأَحمق يَختار حُدودَ الأشياء الصَّغيرة.

كُن مُحيطاً، ولا تَكن قَطرة.

عِندها فقط تُدرِكُ طَعم الحياة، وعندها فَقط يُشرِقُ فيكَ شُكرٌ عَميقٌ؛ يُشرِقُ فيكَ شُكرٌ عَظيمٌ ليس تجاهَ شيءٍ مُحددٍ بذاتهِ، وإنَّما تجاهَ الكُليَّة... تِجاه كُلِّ هذهِ النُّجوم والأَشجار؛ تِجاهَ كُلِّ هذهِ الجِّبال، وكُلِّ هذهِ الأَنهار؛ تِجاه كُلِّ المُحيطات، وكل النَّاس، وكل الطُّيور... تِجاهَ هذا كُلَّهُ ستشعُر بِشُكرٍ عظيمٍ.

عندما تَفتح عيونَكَ بِشُكرٍ كهذا، سيبدو العالمُ جميلاً

بشكلٍ مُختلفٍ؛ سَتبدو الألوانَ أجمل، لَن تُصدِّق عِندها أنَّ الأَشجار كانَت بهذا الجَّمال، وبهذهِ الخُضرة؛ لن تُصدِّق أنَّ الرِّياحَ عِندما تَمرُّ بين أغصانها قادرةً على أن تَهِبَ الحياة لموسيقا رائعة الجَمال، هي دائماً كذلك لكنَّكَ إن كُنت الأَصم؛ لن تُصدِّقَ أنَّ شُروقَ الشَّمس وغروبها جميلين إلى هذهِ الدَّرجة، نَعم هُما دائِماً كَذلِكَ، لكنَّكَ وحدكَ مَن كُنتَ الأَعمى.

عِندما تَثِق بالكُليَّةِ ثِقةً كُليَّةً تتفتَّحُ كامل أحاسيسك تَفتُحاً كُليَّاً، وعندها يتحوَّلُ كامل الوُجود إلى رَقصٍ جميل... يتحول إلى قُدَّاسٍ واحتِفال.

هل تَستطيع النَّظر إلى الأَرض وأنتَ عِند تِلك المَراقي؟ لا يا أخي، أيُّ أرضٍ تِلك ؟ إنَّها مُجرَّدُ سرابٍ؛ إنَّها مُجرَّدُ حُلُمٍ؛ إنَّها مُجرَّدُ ذاكرةٍ ولا يُمكِنُكَ السُّقوطُ إلى ذاكرةٍ؛ لا يُمكنك أن تَهوي إلى سَراب، لا يُمكِنُكَ أن تَهوي إلى حُلُمٍ، إنسى كُلَّ شيءٍ عَن التَّهاوي والخَوف لأنَّ الوقت المُناسب قد أتى، إما أن تُصبحَ في غاية

الخَوف، وتقبَع في مَكانَكَ، وإما أن تتقدَّم، أمَّا التَّراجُع فمُستحيل... تَقدَّم ولا داعي للخَوف، والسُّقوطُ مُستحيلٌ أيضاً.

تُعتَبر مُهمة المُعلم الصَّادق الأَمين تعليمُكَ عَدم الخَوف، وكُلُّ مُعلِّمٍ لا يُعلِّم تلاميذهُ تَجاوز الخَوف لا هو مُعلِّم، ولا هو صادقٌ أمين... عليهِ تعليمهم الجُّرأة والشَّجاعة وحبُّ المُغامرةِ بِشتى السُّبُل... عليهِ تعليمَهُم كامل تَحديات الحَياة لأنَّ ما سَبَقَ في الحَقيقة هُوَ كُلُّ ما يحتاجهُ المُريدُ للحصولِ على بُنيةٍ فولاذيَّةٍ مُفيدةٍ.

تَعلَّم في البداية تَجاوز المَخاوف الصَّغيرة، ثُمَّ ببطءٍ تَدريجي تِلكَ التي أَكبر مِنها قليلاً، وهكذا في النِّهاية تتمكَّن من تَحريرِ كاملِ طاقَتِكَ التي كُنتَ تَهدرها في الخَوف والتَّوتُر، ويالها من طاقةٍ جَبارةٍ قادرةٍ على جَعلِكَ تَرقُص؛ قادرةً على جَعلِكَ تُغني وفجأةً سيبزُغ فيكَ شُعورٌ عَميقٌ بأنَّكَ وصلتَ وقضيتَ على فِكرك... جُبتَ العَالم ولم تَكُن بحاجةٍ إلا إلى ضربةٍ خفيفةٍ.

الفَصل السَّادس

ليسَ عملاً بل احتفال

آلافٌ مِمَّا ندعوها أسئلةً، تملأ الأجواء من حَولنا... مُدهشةٌ هيَ ومدهشة أكثر منها أجوبتها... لستُ هُنا لأُقدِّمَ أحكاماً، وتصنيفات، وترتيبات، بل لأقولَ شيئاً واحداً... يندَرِجُ السَّواد الأَعظم من تِلك الأسئلة في إِطارٍ واحدٍ «جاهلٌ يسأل عارفاً سؤالاً حولَ شيءٍ يعتقدُ الأَول أنَّ الثاني أكثر درايةً منهُ حولهُ، ثُمَّ ينسى الاثنان بعد مُدَّةٍ تَطول أو تَقصُر كُل ما قِيلَ...» هَل هذا العَارف عارفٌ وعالمٌ بالفعل؟ لِماذا يُنسى كل شيءٍ إذاً؟؟ وتساءَل مَعي أخي العَربي " لو أنَّ فينا هذا العَدد الضَّخم مِنَ العارفين فما مُبرر هذا الدَّرك الأَسفل من عالمِ الأُمم الذي نَتبؤَهُ؟؟

بعيداً عن الأَسماء التي من المُمكن أن تُؤثِّر بحقيقة

تَلقينا للسؤال والجواب، انظر ماذا سألَ أحد التلاميذ مُعلِّمهُ... هذا إن جازَ فَصلهما في هذهِ الحالة إلى تِلميذٍ ومعلِّمٍ، فلو خُيِّرتَ لاخترتَ تسميتهما نَهري جَمال، التقى الواحد بالآخر ليواصِلا السَّيرَ معاً نحو مُحيط الأُلوهيَّة.

«عادةً ما أَنظر إلى الغُروب، فيطالعني حُزنٌ قادمٌ مِن الدَّاخل العَميق، حُزنٌ يجعَلُني أشعرُ كأنَّ الشَّمس الغاربة للتو هي بيتي ومنزلي؛ هي ذَلك المكان الذي سأعودُ إليهِ عندما يَنتهي العَمل، لكني الآن في حُبٍّ حَميمٍ مع العَمل؛ مع الأرض؛ مع الوجود؛ مع النَّاس... هُناكَ رغبةٌ عميقةٌ بالتحرر، لكنني لا أريدُ العَودة إلى البَيتِ وحيداً... هَل يُمكِنُ الانتهاء من العَمل بالفعل؟ وهل يستطيعُ أحدنا العَودةُ إلى البَيت بسلامٍ؟؟»

تَقسيم الأَشياء واحدة من أكثر العادات تجذُّراً في الفِكر، وعِندما تُقسم الأَشياء توقِعَ نفسكَ في مُشكلةٍ، وهذا ما يُريدهُ الفِكرُ لَك، لأنَّ الفكر موجود، ويَجد لنفسهِ عملاً مادُمتَ في مُشكلةٍ، وإلا

سيجدُ نفسهُ ضائِعاً يُعاني البَطالة.

إنَّ أَكبرَ مُشكلةٍ بإمكانِ الفكرِ اختلاقَها لكَ هي ما يُمكِنُ تسميتهُ " المحبَّة الدَّائمة للعودة إلى البَيت " أتَدري لِمَ تُعتبرُ أكبرَ مُشكلةٍ؟ لأنَّكَ لم تُغادر البَيتَ أبداً؛ إذا لَم تَكُن في البَيت، فأينَ عساك تكون؟

الفِكرُ بارعٌ باختلاقِ المنازلِ الجديدةِ... رُبَّما تكونُ في القَمَر؛ رُبَّما تكون في الشَّمس، ورُبَّما في مَجرَّةٍ أبعد من ذَلِكَ بكثيرٍ... ما كل ذلك إلا بدائل جديدة مُبتدعة للّه البَعيد الذي ابتدعهُ لنا مِنذُ القِدَم... لا تستطيع تخيُّل دهاء الفِكر عِندما يَبتَدع لكَ انقسامات جديدة، فَكُلَّما تَجاوزت واحداً أتاكَ بآخر أبرعَ تصميماً، وأشدَّ دهاءً، وأكثر حداثةً.

مِنذُ القَديم و إلى الآن نَتدافع، ويَتدافع النَّاس للذهاب إلى الجَّنة، وإلى اللّه البعيد البعيد أملاً بتحقيق نَعيمٍ مُقيمٍ وسلام أبدي... أتعتقدُ أنَّكَ سَتُحقِّقَ ذَلك عِندما تَلتقي باللّه ؟ أَليسَ هو من خَلَقكَ دون أن يسألكَ؟ أليسَ

هو من خلقَ العالم مَملوءً بالعذاب، وعليكَ العيشَ بهِ؛ هو الذي خَلقَ مَعكَ كُلَّ هذهِ الرَّغبات التي لا تَعرف إلا المُطالبة بالمَزيد والمَزيد و المزيد.

أتظنُّ السَّلام بلقاء كهذا؟! لا...سَيكون اللِّقاء الأعنف و الأَشد من بين كل ما توجَّب عليكَ مُواجهتهُ.

اللّه محظوظٌ لأنَّهُ غير موجود، بل لا يستطيع الوجود، كم إنساناً عليهِ أن يواجه، وكُلُّ واحدٍ مِنهم يَحملُ مِثلك أعباءَ ومشاكل لا حصرَ لها وهو وحدهُ!!

إنَّ مُجريات حياتنا كاملة تُشيرُ إلى أننا لن نَشعُرَ بالسَّلام والنعيم ما لم نحقق شيئاً ما؛ ما لم نَذهب إلى البَيت؛ ما لم نُنهي أعمالنا، ونعود إلى البيت عند الغُروب... نحيا حياتنا وكأننا لسنا مُدركينَ بأننا في البَيت ولم نغادرهُ... السَّلامُ فنٌّ علينا تعلُّمهُ هُنا، والآن وليس في الشَّمس أو القَمر.

إن ما من شأنه تحقيق السلام لك ليس هدفاً بعيدَ المنال و عليك العمل الجَّاد لتحقيقهِ، وما كُلُّ ذلك إلا هروبٌ

للأمام كَما يقولون، فأنت أنت حيثُ كُنت.

بعد عودتهِ سُئِل أوَّلُ إنسان وصلَ إلى القَمر "لا بُدَّ وأنَّكَ تشعر الآن باختلافٍ كبير؟ " فأجابَ " آسفٌ للقول... لا" تغيير المكان غير قادر على تغيير شيء، أما التَغيير في الفِكر، فقادرٌ على المُساعدة والتغيير و التَّحويل.

يقول السَّيد المسيح «من كانت لهُ عينان، فلينظر، ومن كانَت له أُذنان، فليسمع...» بالطبع ليس الرجل بهذهِ السَّذاجة ليرشدنا أو ليذكرنا بالعيون والآذان، وبطريقة استخدامهما، بل ليؤكد على شيئين: أولهما وجوب النظر إلى ما بين السُّطور، وما وراءها، وثانيهما أنَّ نظرتنا للشيء الواحد تَختلفُ من إنسانٍ لآخر، يرى جميعنا نوعاً من الجَّمال في الشُّروقِ والغُروب ولكن ما هو سِرُّ ذلك الجَّمال؛ أهو اختلافُ الألوان في السَّماء؟ أم هو الفَرحُ بولادةِ يومٍ جديدٍ في الشُّروق والاحتفال بنهايةِ يومٍ من العمل، والأملِ بقدومِ يومٍ أفضل في الغُروب؟ في كِلا الحالتين جَمالٌ، ورُبَّما كانت هُناكَ العَديد مِن

الحالات الأُخرى، ولكنَّ ما هو سر الحُزن القادم من الدَّاخل العَميق عند رؤية الغُروب ؟!!

في الحَقيقة ليس هذا الحُزن شيئاً سلبياً، لكنَّهُ جمالٌ أيضاً، لكنَّهُ يَطَّلِع في جميعِ هؤلاء الذين يتمتعون بحساسيةٍ عميقةٍ... نعم، يُمكِنُ للجَمال أن يَكون صدمةً عميقةً، ولكن لِذوي الكيانات الشَّاعرية والحسَّاسَة.

إنَّ الحُزن القادم من الدَّاخل العَميق ليس حُزناً بل هو ببساطةٍ صَمتٌ عَميق؛ صَمَتَ كما لو أنَّ كامِل وجودك قد تَوقف عند رؤية الغُروب الجَّميل... يتوقَّف الوقت ويتوقف الفِكر، وهُما الشَّيئين الذين اعتدنا على الحَياة برفقتهما... إن هذا الصَّمت في القَلب؛ إنَّ هذا الفَضاء الذي لم تألَفهُ مِن قَبل هو ما يبدو في البداية حُزناً، لكن مع الوَقت وبعد القَليل من التَّعارف سَتُفاجأ بأنَّهُ لم يَكُن حُزناً ... إنَّهُ صمتٌ.

حاول مَرَّةً أن تَجلِس وحيداً في مَكانٍ ما، عِندها لا بُدَّ

من قُدومِ أَحدهم ليسألك « لم تبدو حَزيناً؟ » ... لَم يَنل الصَّمت ما هو أهلٌ لهُ في مُجتمعاتنا !!!

تأمَّل ذلك الصَّمت المُحيط ببحيرةٍ هادئةٍ... سَيوحي لكَ صَمتُ المياهِ في البِداية كَما لو أنَّ البُحيرةَ حَزينة... اعتدنا على الضَّجيج، وحيثُ لا يوجدُ ضَجيجٌ نَشعُرُ بالنَقص.

ما اعتقدناهُ حُزناً وجدناهُ في الحقيقة صَمتاً... علينا إذاً تعلُّمُ لُغةٍ جديدةٍ، الروحانيَّة لُغةٌ جديدةٌ... عليكَ أن تَتعلم مَعاني جديدة للكلمات؛ عليكَ أن تتعلم إعطاءها بُعداً جديداً و عطراً جديداً ، فلطالما استخدمنا تِلك الكَلمات في عالم المال والأعمال، وأبلت هُناكَ بلاءً حسناً، لكنَّكَ عِندما تَدخل جَمال الوجود لا يُمكنك اصطحاب تِلك اللغة.

ما المسألةُ إذاً سوى مَسألةُ قليلٍ مِن الإدراكِ الإضافي وتكرار اختبار الغُروب بمزيدٍ من العُمقِ، وعندها ستحقق تحوُّلاً... حيثُ يُصبحُ ذاتُ الحُزن صمتاً هو

صَمتك.

أما الجَمال فهو غير مُدرك للجمال، وأما الشُّعور بالحزن، فَهو نِصفَ الطَّريقِ على الأقل...وهو إدراك للجمال دون إدراك للأثر الذي يتركهُ في القلب.

هُناكَ ما هو مُتماثلٌ بين الصَّمت والحُزن، لكنَّهما ليس الشيءَ نفسهُ... الحُزنُ شيءٌ ميِّتٌ لا حياةَ فيهِ أما الصَّمت فحيٌّ؛ الصَّمتُ أغنيةٌ دون كلماتٍ، وسيمفونيَّةٌ دون آلات، وما يراهُ المُريد حُزناً هو في الحَقيقةِ نشوةً روحيَّةً غامرةً.

هذا الكَون بأكملهِ هو... مَعبد... وللوجودِ طُرُقهُ العديدة التي يُحاوِلُ من خِلالها الوصول إليك؛ يُحاول من خلال أشعَّةِ الشَّمس؛ من خِلال أشعَّة الشَّمس؛ من خلال الطُيور، فَكلُّ هذهِ الأشياءَ رُسُل، إنَّ الذين جاءونا بأخبارِهم، وقالوا بأنَّهم رسلُ وأنبياء ليسوا كَذلك؛ ليسوا كذلك وإنَّما هُم... حَمقى.

الرُّسل تَملأ المكان من حَولك، عِندما تبدأ الطُّيور

غِناءها في الصَّباح؛ عِندما تَفتحُ الورود وريقاتها كل صباح، وتشعُّ قَطرات النَّدى عليها كالجواهر الثَّمينة... عِندما يملأ هذا الطَّيف الواسع من الأَلوان، الأُفُقَ مِن حولكَ مُرحِّباً بيومٍ جديد... هَل يُمكنك تَسمية هذا كُلَّهُ إلا رُسلاً من الوجود؟؟ وإذا استطعتَ تَذوُّق كل هذا، فلن تَشعُرَ بالحُزن؛ لن تَشعر إلا بشكرٍ عميقٍ... لن تَشعُرَ إلا بالثمالةِ.

ستشعر فِعلاً أنَّك في البيت ... سَتشعُرُ بالسَّلام.

لم يَسبق لأيٍّ مِنا أنَّ ذَهب إلى الشَّمس، وكَثيرون جِداً منا لم يعرفوا ما هو اللا سلام... ليس السَّلامُ شيئاً عليك تحقيقهُ والحصول عليه، إنما هو شيءٌ لطالما حَملتهُ معك لكنَّكَ لم تمنحهُ فَرصة الإزهار لأنَّهُ في الحقيقةِ وردةٌ في القَلب وعُطرٌ في الكَيان... إنَّهُ طَعم الحُريَّة؛ إنَّهُ طَعمُ الفَرحِ والقَداسة.

رُبما لا تكون كلمة " سلام" مُناسبة ودقيقة لأنَّها كانت دائماً مُرتبطةً بالحرب، وفيها بعض الضَّعفِ

والاعتلال، و لما كان عَلينا تعلُّمُ لُغةٍ جديدةٍ، فمِنَ الأَفضلِ عَدَمُ قُبولِ تِلك الكَلمة... لن نَتمكَّن مِن إدراك الفَرق بين الحَرب والسَّلام ما لم نمتلك وجوداً داخلياً عامراً بِرقصاتِ الفَرح؛ ما لم نَمتَلك وجوداً داخليَّاً لا علاقةَ لهُ بحربٍ أو سلامٍ... نَعم، لا يُمكننا قَبلها إدراك الفَرق بين الصَّمتِ والسَّلام...

السَّلامُ شيءٌ ميِّتٌ والصَّمتُ خَفقانٌ للقلبِ بتناغُمٍ مَع الوُجود.

لا... لا تدعُهُ حُزناً، وعِندها سَتدرِكُ الفَرق.

إنَّهُ صَمتٌ.

و هذا طبيعيٌّ عِندما تُصادِفُ جَمالاً.

الشَّمسُ مَصدرُ الحياة على أرضنا، لكننا يَجبُ أن نَبقى على مسافةٍ مِنها، أما فِكرةَ أنَّها بيتٌ ومنزِلٌ فخاطئةٌ وجلَّ من لا يُخطئ.

لا الشَّمس بيتك ولا الأرض ولا القمر؛ بيتك الحقيقي فيك، ولا يتوجَّبُ عليكَ البحثَ عنهُ في أيِّ مكانٍ آخر.

أنتَ هو البيتُ والمقرُّ والمعبد.

فرضتَ علينا - ولقرونٍ طويلةٍ - فكرة «العمل»، وجوهرها أنَّكَ في هذا العالم لِتؤدي « عملاً » مُحدداً... بالطبع لا يُقبل مِنكَ أن تكون مُجرَّدَ إنسانٍ كَسولٍ تَستمتع بوقتك وحياتكَ، وكيفَ يُقبلُ ذلك، وبعملك وحده تُبنى ثَرواتهم؛ بعملكَ وحدهُ يصبحون رجالاً عُظماء؛ بعملك وحدهُ يستطيعون إقامة الحُروب... أرأيت كم هو مُهمَّاً... « عملك ؟؟ !! » هذا ما دَفع كُل ثقافةٍ دون استثناء للعمل، ومِنذُ البداية الأولى لفرضِ مبدأ العَمل على كُلِّ طفلٍ « أنتَ في هذهِ الحياة لتؤدي هدفاً ؛ عملاً ؛ غايةً.....»

فكرةٌ قُبلت من قَبلنا رَغم عَدمِ مَنطقيتها، فأيُّ عملٍ يتوجَّب على الأشجار القيام بهِ؛ ما على الطُّيور من واجبات؛ ماذا تَفعل الشَّمس والقَمر والنُّجوم... وحده الإنسان على درجةٍ كافيةٍ من الحَماقة ليعتقد بأنَّ هُناكَ هدفاً عظيماً وعليكَ تحقيقهُ... نعم، نَجحوا بهذهِ الطَّريقة

باختلاقِ الفِكر الحالمِ الطَّامح.

قَبلنا هذهِ الفِكرة بكُلِّ بساطةٍ لآلافِ الأعوامِ لأنَّها تدفع بغرورنا إلى قِمَّةِ إشباعهِ... إذا لَم تَكُن هنا لتؤدي عملاً ما، فوجودك وعدمهُ سواء، وليس في الوجود ما يُرعب الغُرور أكثر من ذلك... يريدُ منك الغُرور أن تَكوُّن العَمود الفَقري لهذا الوُجود، ودونَ عملك لا يوجد وجود مُكتمل.

الوجود احتفال وليس عملاً؛ الوجود طاقة لا تعرف إلا الرَّقص الأبدي بأشكالٍ مُتعددةٍ... لا تعرف الطَّاقة التلاشي... إنَّها أبدية.

كان خطأً تكوينيَّاً جِسيماً ذلك الذي أوجد مُجتمعاً مُصاباً بعُقدة العمل؛ مُجتمعاً يحتقرُ كُلَّ من لم يتعقد بتلك العُقدة... بالطبعِ هُناك حاجات أساسيَّة كالطعام والشَّراب والملبس، ولا بُدَّ لِكلِّ إنسانٍ من القِيام بعمل لتلبيتها، لكنَّ أشياءً بسيطةً كهذهِ لا يُمكِنُ أن تكون قَدراً للوجود... أتظنُّ أن كُلَّ قَدرِكَ في هذا الوجود هو

بناء مَنزلٍ، وإنجابُ بعض الأطفال، وصراعٌ دائمٌ مع زوجتِكَ...؟! لا... تلك أشياءٌ صغيرةٌ ولا مَجال حتى لرؤيتها في احتفال الوجود الكبير... لكنَّها حماقاتنا المتواضعة التي ارتضت لنفسها أيِّ قَدرٍ كان.

علينا أن نَعي بعُمقٍ... ليس لدينا أيُّ عملٍ هُنا... نحن هنا لمجرَّدِ الانضمام إلى احتفال الوجود العَظيم، فلا تُبالي بتلك الحاجات الصَّغيرة... لا تُبالي بحجم حسابك المصرفي، فلا علاقة للوجود بذلك؛ لا تُبالي لدرجتك السِّياسية لأنَّ الوجود ببساطة لا يعلم شيئاً عن ذلك... يتناغم الوجود أَكثر، ويعلمُ أشياءَ أكثر عن تلك الطُيور الصَّغيرة التي تبدأ الغِناء دون أيِّ سبب... إنَّها مُجرَّدُ طاقتها.

تجاوز ذلك الفِكر المُقادُ بِعُقدةِ تحقيقِ الأشياء.

إنَّهُ وباء.

كُلُّ ما عليكَ هو الاستمتاعُ و الفرح.

كُلُّ ما عليكَ هو القيام بتلك الأشياء الصَّغيرة.

ليس المقصودُ هُنا إبلاغكَ رسالةً ما تُخبرك ما عليكَ أن تفعل، وما عليك ألا تفعل، لا توجدُ أيَّة تدريباتٍ أو تعليماتٍ، وإنَّما هي الحُرية وحدها... أنَّها الحريَّةُ، أما بالتعليمات و الأوامر يتلاشى جمال الإنسان... لِيكن لكَ جمال الأشجار وبهاؤها؛ لِيكن لكَ جمال الطُّيور وبهاؤها؛ ليكن لك جمال المُحيطات و البحار و بهاؤها؛ ليكن لك جمال الجبال و بهاءَها؛ ليكن لك جمال النجوم وبهاؤها... لا تعرف تِلكَ الأشياء الجميلة سوى الاحتفال الدَّائم؛ لا تَعرف سوى الفَرح و الرَّقص الدَّائم... وحدهُ.

الإنسان ... يعمل .

يُمكننا في الحقيقة أيضاً تحويل أعمالنا الصَّغيرة, يُمكننا تحويلها، وجعلها أكثر جمالاً، وأكثر إبداعاً... يمكننا تحويلها إلى فَرحٍ عظيمٍ لأنَّها بِكُلِّ بساطةٍ... حياتنا... إنَّها حياتنا لأنَّها تهبنا طعامنا ولباسنا ومسكننا، وبالتالي لم تَعد تِلك الأعمال أعمالاً بل

أصبحت سبباً لبقائِنا ﴿ هذا الجَسد أطول فترةٍ مُمكنةٍ لنتمكّن من الاستمتاعِ باحتفال الوجود.

تَقدَّس.

تَقدَّس وقَدِّس نفسك... عندما تُصبح قادراً على القَول ""قدَّستُ نفسي"" يتحوَّلُ عملك إلى احتفالٍ وقُدَّاسٍ؛ يتحوَّلُ إلى إبداع، ويأخذُ ﴿ التَّوِ واللحظة نوعاً مُختلفاً... يأخذُ جمالاً مُختلفاً.

بعدَ أن تُحبَّ عملكَ، دَعهُ يَعُمَّ وينتشر... دَع الآخرين؛ دَع الطُّيور والأشجار؛ دَع الوجود يكونُ جِزءً من ذلك الفَضاءِ الذي دعوتهُ " حُبَّاً " وعندها لا تَعودُ بِك حاجة لتسأل عن الحُرية لأنَّكَ حُرٌّ بالفعل.

الحُبُّ هو الدَّواء السِّحري الوحيد الذي يمنحك الحُريَّة. أما الكراهية، الغَضب والغِيرة لا تمنحك سوى المحدوديَّة و العبوديَّة.

حُبٌّ مَحض فقط؛ فقط حُبٌّ غير مَشروط... فأيُّ شَرطٍ عساكَ تفرضهُ على الطُّيور؛ أي شرطٍ يا تُرى بإمكانك

أن تقيد بهِ الأشجار...؟ ليكن حُبُّكَ غير مَشروطٍ وستغدو حُراً... ستغدو حُراً من الغِيرة والغَضب؛ حُراً لأنَّهُ لم يَعد هُناكَ أعداء بل الجَّميع أصدقاء ومُحبون والجَّميع أجزاء من كليَّةٍ كونيَّةٍ واحدةٍ.

لكنَّها تشابكاتنا الفرية هي من يولِّد تِلك الاضطرابات فعادةً ما نحمل في أفكارنا الكَثير من المعلومات المُتناقضة المُبعثرة التي لا صِلةَ بينها ولا عَلاقة... أُصِبنا بسبب المجتمع بدمارٍ فكريٍّ شاملٍ لأنَّ ذلك الأخير لا يُريدُ لنا الاحتفاظ بأفكارٍ وعقولٍ سليمةٍ... يُريدك المُجتمع أن تكون عَبداً، ولا حاجةَ للعَبدِ بالعقل، بل على العكس.

ولتحقيقِ الدَّمار العَقلي اتبعوا طُرُقاً غايةً في الدَّهاءِ تجعلك سعيداً مُطمئناً بأنَّكَ لا زِلتَ عاقلاً عالماً

لكنَّ الحقيقةَ عكس ذلك... لقد أُشبعت عُقولنا بجميعِ أنواع الأشياءِ المتناقضة .

علينا أن نَكونَ أحراراً، ولم يُخبرنا أحدٌ بأنَّ الحُبَّ

حُريَّة؛ لم يُخبرنا أحدٌ بأن الفرحَ و الاحتفال حُريَّة... لم يُخبرنا أحد بأن تَكونَ وحيداً وسعيداً وقادراً على أن تقول " قَدَّستُ نَفسي "... حُريَّة.

بعد العَمل تأتي العودة إلى البيت... ولربما خشينا العودة فُرادى ... أتخشى العَودةَ وحيداً؟ ومَن عساكَ تَصطحب؟! من عَساه يقبل بالذهاب معك!! لن يَفعلها إلا من قَرر الانتحار.

رُبما يَغيب عن الأَذهان أن طَريق العَودة إلى البيت؛ طَريق العودة إلى الذَّات؛ المكان الذي لم نَبرحهُ أبداً ما هو إلا بِدعة فكريَّةً... ذلك الفِكر الذي اعتاد وَعودنا على ابتداعِ أهدافٍ بعيدةٍ بل مُستحيلة المَنال ... لم تُغادر البيت و السَّبيل الوحيد لإعادتِكَ لِرُشدك هو اختبارَكَ لمتعة الوحدانيَّة... تلك الوحدانيَّة التي استبدلنا بها جنون الحَضارة... تلك الوحدانيَّة هي... حُريَّة... حُريتك من الآخرين؛ حُريتك من الحاجة للآخرين؛ حُريتك من الاعتماد على الآخرين.

وحدانيَّتَكَ حُريتك... وحدانيَّتَكَ بيتك.

أتُريدُ الحقيقة... لا يوجدُ عملٌ ولا حاجة لنسأل متى ينتهي... كيف يَنتهي العَمل والعالم أبديٌّ مُستمر... تأتي الورود كُلَّ ربيعٍ؛ تسقط أوراق الأشجار كُلَّ خَريفٍ؛ تُشرِق الشَّمسُ كُلَّ صباحٍ... تمتلئُ السَّماءُ بالنجوم كُلَّ ليلةٍ... إنَّها أشياءٌ أبديَّة لا بداية لها ولا نهاية.

إن تَعلقك المُفرط بالعمل يَعني قبولك بعبوديَّةٍ أبديَّةٍ... اعمل بفرحٍ؛ بحُبٍّ، واجعل عَملك صورةً من صور قداسَتِكَ... وعندها لن يَنتهي العَمل، ولن تكونَ بحاجةٍ لتسأل متى سينتهي... ستمضي وسنمضي جميعاً... سَنمضي وسنعودُ من جديدٍ مُتجددين.

رُبَّما نلتقي ثانيةً، لا يوجد في هذا العالم المستحيل ما هو مُستحيل... من المُمكن أن نكون قد التقينا من قبل هنا عدَّةَ مرَّاتٍ... إنَّها ألعابٌ مُتنوعة لكنَّ اللاعبين هُم أنفسهم... لكنَّ المُهِمَّ في الأمر أن تُحرر نفسك من عُقدة العَمل، وستتلاشى كُل الأعباء من تِلقاءِ نفسها... ضع

عنكَ عُقدة العمل ولن تعود بحاجةٍ للعودة إلى أيٍّ بيتٍ... هذا الوجود الرَّائع؛ هذا الوعي المُقدَّس هو بيتك.

لطالما كان بيتك.

اجعل الحياة في غاية البَساطة... اجعلها في غاية البراءة.

أتعتقد أن هذا الصَّمت الرَّائع بحاجةٍ لإضافاتٍ؛ أتعتقد أن هذا الجمال جمال منقوص؟... فلنحيا كُلَّ لحظةٍ بفرحٍ وجمالٍ؛ فلنجعلها احتفالاً مِنَ الأنوار.

الفَصل السَّابع

تَجدَّد

الطَّريقُ إلى الحَقيقةِ طويلةٌ و تعجُّ بالمارَّة، ولرُبَّما وجد أحدهم نَفسهُ عن قصدٍ أو غَيرَ قصد في تِلكَ الطَّريقِ في حضرة المُعلِّمِ الأمين، ربَّما مرَّ هذا لأحدهم مُرورَ الكِرام مُتابعاً طريقهُ الأولى، والاحتمال الثاني ألا تَمرُّ تِلك الحَضرة مُرورَ الكرام، فتُحدثُ انفجاراً داخلياً في وجودهِ لِتُشكِّلَ أعواماً من المُمكن أن تتتالى بانتظار عودتهِ... رُبَّما سَيشعرُ أنَّ كُلَّ حياتهِ تحوَّلت لمجرَّدِ محاولةِ بلوغِ شيءٍ قد حَدث.

يَحمِلُ هذا الاختبار دلالةً ومعنى بالنسبة لِكُلِّ باحثٍ عن الحقيقة، لأنَّهُ في الحقيقة يَمسُّ القانون الأساسي لِكُلِّ من يبحثُ عن شيءٍ غير قابلٍ للشرحِ والتَّفسير والتَّعبير.

ما هو هذا القانون...؟

في الحقيقةِ هو اختبارٌ رُبَّما حدثَ للعديدين، بل إنَّهُ دائمُ الحدوثِ للجميع، لكننا لم نُدرك كامل أبعادهِ.

القانون باختصار هو أنَّ أوَّلَ لقاءٍ لكَ بالمعلِّمِ يُعيدُ لَكَ براءَتكَ الأولى؛ يُعيدُ لكَ حساسيتكَ؛ يُعيدُ لكَ قابليتكَ للحركة بِكُلِّ الاتجاهات والأبعاد بِكُلِّ طواعيَّةٍ... إن أول لقاءٍ بالمُعلِّمِ يُحدِثُ انفجاراً.

إنَّها براءتك من يُحدِثُ ذلك الانفجار، إنَّ فِكرَكَ المذهول بما يَحدث... أنت لا تَعلم شيئاً من قَبل عن الروحانيَّة، من قبل ليس لَديكَ أيُّ اختبارٍ لمعنى النَّشوة... أنَّ جهلك هذا هو من سَبَّبَ الانفجار... ولكن عندها تبدأ رحلةً شاقَّة؛ يبدأ عندها كابوس... عِندها يبدأ انتظار... عِندها تتحولُ كُلَّ لحظة من حياتَكَ للحظة يعودُ بها ذلك الانفجار من جديد، رُبَّما تنتظرُ أعواماً لكنَّهُ لن يعود، لن يعودَ لأنَّهُ هُناكَ شرطاً أساسياً لحدوثهِ لم تُحققهُ... لقد نسيت كُل شيءٍ عن أيِّ حالٍ كُنتُ عندما حدث الانفجار الأول.

و الآن... لا يوجد أيَّةَ وسيلة للعودة ثانيةً لتلك الحالة، مَهما فَعلت ستكون في حالة انتظار، في حالة اختبار... لن تستطيع ثانيةً اختلاق تلك الحالة من اللا معرفة... إنَّهُ ليس بمتناول يَديك... إنَّها ليست سُنَّة الكون والوجود، وبالتالي من المستحسن البداية بتجاهُلِ كُل شيءٍ عن ذلك الاختبار... جيد أنَّهُ حدث لكن هُناك أشياءٌ أجمل وأجمل وأعظم، فَلِمَ عليك البقاء باختبارٍ صِبياني كَهذا.

والآن ... ماذا عليك أن تفعل...؟

عليكَ أن تُجالس المعلم بحالة انتظارٍ وليس تَوقعٍ.

عندما تَكون في حالة توقع تكون هُناكَ رغبةً، ويكون هُناكَ حَدٌّ واضحُ المعالم تتمنى بلوغهُ... أن هذا الحد هو من يُعرقل تقدُّمِكَ... أما عندما تكون في حالة انتظار فأنتَ لا تعلم ماذا تنتظر... إن الانتظار اختبارٌ نفيسٌ للغاية؛ ثمينٌ للغاية... اختبارٌ عميق في طَيَّاته تحوُّلٌ عميقٌ أعظم وأعظم من الانفجار الأول.

لن يكون كالانفجار الأول على الإطلاق... فَكِّر

فقط... منذُ اختبرت ذلك الانفجار وإلى الآن كم تبدل الماء في النَّهر...

لا أنتَ بقيتَ كما كنت، ولا أنا ولا المُعلم أيضاً... يتبدل كُل شيءٍ كُل لَحظة، فَلم البُكاء على أطلال لحظةٍ جميلةٍ وهُناك كل لحظةٍ تأتي ما هو أكثر جمالاً وأوفر نشوةً...

تَجدد.

ما لم تتمكن من تَجاوز كُل شيءٍ عن ذلك الانفجار، وتوقع حدوثهُ من جديد سيُبقيكَ وكأنَّك لم تُغادر حقبته الزَّمنية؛ ستكون هُناك فجوةً بينك وبين الحياة و المعلم... المهم في الأمر أن تُدرك تماماً أنَّهُ حدثٌ لأنَّكَ لم تَكن مُتوقِّع حدوثهُ، وغاب بعدها لأنَّكَ أصبحتَ متوقعٌ ذلك.

القانونُ بَسيط لكنَّهُ جَوهري... ولطالما كُنا لهُ ضَحايا وقرابيناً... عندما يتذوَّقُ أحدنا أي شيء يبدأ على الفور بالبحثِ عنهُ من جديد.

وتذكَّر دائماً... الكَونُ نَبعٌ دائمُ التجدد، الوجود ينضب

وقادر دائماً على أن يعطيك المزيد والمزيد، وكل ما عليكَ ألا تسأل عن التكرار... الوجود يكره التكرار ولا يُريد منكَ تكرر الاختبار مرتين، حتى لو تكرر لن يكونَ نفسهُ بالتأكيد... ما فائدة مُشاهدة الفيلم مَرتين!!!؟

يُمكن للقليل من الإِدراك أن يغدو مُفتاحاً ذَهبياً يَفتح أمامك كل أبواب الألغاز والأسرار، تتابع التعلُّق بالاختبار الأول، والقديم الذي يُتابع بدورهِ التِكرار في فِكرك...

متى سيحدث؟؟ لِمَ لا يحدث؟ بالتأكيد سيكون هذا الانتظار حَزيناً، وستصل في النِّهاية إلى قَرار لأن كل ما حولك خطأ بخطأ.

لكن استنتاجاتك تلك هي الخاطئة، وسببها كان انتظارك حَزيناً، وكابوساً طويلاً مُرعباً... عليك الإدراك في النِّهاية أنَّ الاختبار الأول كان مُجرَّد بداية.

لا بُدَّ لأول لحظةِ لقاءٍ بالمعلم أن تُحدث فيكَ انفجاراً، إنَّ

من شأنِ تِلك اللحظة أن تملأك بِنورٍ لم تكن لتحلُمَ بهِ؛ إنَّهُ اختبارٌ ما كان لفكرك أن يَستطيع تخيلهُ... إنَّهُ جمالٌ يمكنك أن تَختبرهُ لكنك لن تستطيع أن تقول عنهُ شيئاً... موقفٌ صعبٌ في الحقيقة، ورُبما يكون أقدم صعوبة يواجهها الباحثون عن الحقيقة.

يُمكِنُ لأول لحظةٍ أن تكون فَتحاً مُبيناً، لكن يُمكنها أن تتحول إلى عقبةٍ وحاجزٍ، الأمر مُتوقِّفٌ عليكَ... إذا تعلقت بهِ؛ إذا توقَّعتَ عودتهُ من جديد، فقد حوَّلتهُ إلى عقبةٍ، أما إذا شعرتَ بشُكرٍ عميقٍ؛ إذا شعرتَ بامتنانٍ في القَلب، يَقلب كل وجودك دون أيَّة رغبةٍ بالعودة إلى الاختبار الأول، فأنتَ على الطَّريق الصحيح.

طيلة اثنين وأربعين عاماً اعتاد بوذا أن يقول لِكُلِّ إنسانٍ يقبلهُ كتلميذٍ، ومِنَ المؤكد أنَّهُ قبل آلافاً وآلاف " تابع السَّير الآن ولا تتوقف؛ لا تتوقف مهما كان الاختبار جميلاً، لا تتوقف وتذكر دائماً أن المزيد والمزيد

بانتظارك. "

تقدَّم فقط.

اختبر كُلَّ شيءٍ؛ اختبر كُلَّ شيءٍ وكُن شاكراً شكوراً، ولكن لا تتوقف، ولا تتوقع عودة الاختبار مرتين لأن من شأن ذلك عرقلتك في طريقك نحو اختبارات أعظم وأعظم.

والجَميلُ في الأمرِ أنَّكَ لَن تفقد شيئاً، ويمكنك أن تنسى فترات الانتظار، وتبدأ جديداً متجدداً منذ اللحظة.

نعم، قال بوذا " إذا قابلتني في طريق رحلتك الدَّاخلية فاقطع رأسي على الفور... لا تتوقف. "

رُبما لا تكون هذه الكَلمات كافيةً للتعبير عما يحمله المعنى من رأفةٍ ورحمةٍ... لا تتوقف... استمتع وامضِ فلا يَوجدُ أي اختبارٍ يستحقُّ أن تتوقف عنده... تقدَّم وسيُصبحُ الحج حَجّاً إلى الحج.

يصعب كثيراً على الفِكر المنطقي إدراك شيء كهذا،

فدائماً ما يسأل ويريد أن يعلم " أين أنت ذاهب ؟ " يريد أن يعلم ما الهدف... إن لهُ طبيعة توجهها وتقودها الأهداف والغايات، ولا أهداف ولا غايات للوجود سوى الوجود والفرح.

لا توجدُ أيَّةُ أهداف.

إذا أردت أن تكون حيَّاً مُتناغماً مع الوجود والحياة تجاهل كُلَّ ذلك الفِكر الهدفي، وبذلك يصبح الحَجُّ حَجَّاً، وليسَ هدفاً.

يمكنك أن ترقص؛ يمكنك أن تغني؛ يمكنك أن تفرح لأنَّ كل لحظةٍ كاملةٍ مُتكاملةٍ بذاتها، ولا حاجة بك لعودتها من جَديد.

لا يؤمن الوجود بالإعادة والتكرار... عَشرات القُرون مرَّت، وعرف الوجود بوذا، والمسيح، وغيرهما من فائقي الجمال، لكن لم يحدث أن تكرَّرَ أحدهم مَرتين... التِّكرار وظيفة مَعملِ السَّيارات، وليسَ صفةً من صفات الوجود... لا يُكرِرُ الوجود شيئاً، بل يَمنح بهاءً و جلالاً

لِكُلِّ فردٍ، لأنَّك لم تَكن ولن تكون، بل أنت فرديَّةً فريدةً مُميَّزةً.

لن تَجِد في أيِّ مكانٍ من يشبهك تَماماً... أنت غَيرَ قابلٍ للمقارنة... ومَعنى هذا أنَّكَ قد وُهِبتَ نِعمةً، ثروةً وجمالاً لن تكون قادراً على شُكر الوجود شُكراً كافياً على ما وُهِبت.

لكن الفِكر ميكانيكي، ويريدُ للشيء أن يتكرر مِراراً لأنَّهُ يشعر بالأمن والأمان بالتشابه والتكرار، لكنَّك لستَ فِكراً.

الفِكر وليد المجتمع، وأنتَ وجودٌ كَوني، وليسَ عُضوَ مُجتمعٍ فقط... تَمتدُّ جذوركَ عميقاً في الوجود، و عليك أن تُصغي إلى ذلك التَّناغم؛ إلى تِلكَ القوانين التي يتَّبعها الوجود... لا تَكراراً... لا اختباراً مرتين ... تجديدٌ دائمٌ.

لن تَجد في العالم وَردتين مُتطابقتين تماماً؛ لن تَجد ورقتي شجرةٍ مُتماثلتين، فما قَولك بالوعي الإنساني؛ ما قَولك بقمَّةِ قِمَمِ ورود الوُجود.

يُمكنك المرور بملايين الاختبارات، والتي تُصبح باستمرارٍ أكبر، أعظم وأوسع، لكن لا تَسأل عن التِّكرار... الوجود ليس فيلماً يمكنك مُشاهدتهُ مَرتين.
يتجدد الوُجود كُلَّ صباحٍ وكُلَّ ما بوسعنا اختبارهُ هو التناغم والتَّوافق مع هذا التَّجدد... إنَّها نشوةُ النَّشوة إنَّها النَّشوة.

الفَصل الثامن

ابدأ بالتأمُّل

تَجلِسُ في حَضرة المُعلم الصَّادق الأمين، فيتسلل صمتهُ إلى قلبك مُحولاً حُبك إلى حُبٍّ غَير مَشروط... ما هذا؟

توجد طريقتان ينظر أحدنا من خلال إحداهما للحياة، يُمكِنُ تَسمية الأولى بالانفصاميَّة، وهي التي اعتدنا واعتاد السَّواد الأَعظم من سُكان العالم استخدامها لقرونٍ طويلةٍ.

تقومُ هذه الطَّريقة على تقسيم الأشياء، ويَصعُبُ للغاية التعامل معها دون تَقسيم، إن استخدامها لآلافِ الأعوامِ من قبل التَّعاليم جعلها تتجذر عميقاً في أفكارنا، مِمَّا ولَّدَ قناعةً عَبر العالم بأنَّها الطَّريقة الوحيدة.

رُبَّما تبدو طريقةً جميلةً وبريئةً لكنَّ الوجود لا يتَّبعها ولا يعترف إلا بوجودٍ كونيٍّ واحدٍ يذوب الفردُ فيهِ بالآخر

دونَ حُدودٍ وتَقسيمات.

تَسببت الطَّريقة الأولى بنتائجٍ إجراميَّةٍ وكارثيَّةٍ يَصعب تَصورها.

أرسلت مَحكمة ألمانيَّة امرأةً شابَّةً إلى مَصحٍّ عَقلي لأنَّها ضُبطت تُلصِقُ في شوارع مدينتها بطاقاتٍ كُتب عليها «المسيحيَّة أكبر جريمةٍ ضِدَّ الإنسانيَّة»

اعتُقِلت المرأة، ومثلت أمام القاضي الذي قال: «إنَّ جَرح مشاعر الآخرين بهذهِ الطَّريقة جريمة»

من المؤكد أنَّ تِلكَ الفتاة تَمتَلِكُ بعض الحِكمة والشَّجاعة، فأجابت: « إذا كانت الحقيقة تَجرح مَشاعر الآخرين، فأيَّهما تَختار، لديَّ إثباتٌ بِكُلِّ ما أقول، ولَن تَستطيع إرسالي إلى السِّجن ما لم تُقِم البُرهان على خَطئهِ»

بدلاً من إرسالها إلى السِّجن، أمرَ القاضي بإدخالها مَصحاً عقلياً... أن تقول الحَقيقة جريمةٌ عُظمى تَستدعي إرسالك إلى المَصح.

لا أدري من كان الأجدر بدخول المَصح، لم يَمتلك القاضي قاعدةً متينةً تُمكِّنهُ من إثبات خطأ ما تقول كَما أنَّهُ لا يستطيع أن يقول بأنَّهُ يَجب إسكات صوت الحقيقة، فهذا يَجرح بعض الحَمقى المتمسكين بالأباطيل.

عَملت الطريقة الأولى القبيحة، الخاطئة والمنحرفة عَقلياً على فصل الحُب عن الصَّمت؛ قامت بِفصلِ الصَّمت عَن النَّشوة والبَهجة، وبفصلِ النَّشوة عن تحقيق الذَّات... وهكذا استمرَّ الفَصل والتقسيم لأشياءٍ لا تُقسَّم، وإنَّما هي فيضانُ من طاقةٍ واحدةٍ تتدفَّقُ باتجاهاتٍ عِدَّةٍ.

بالنسبةِ للمُفكر المنطقي صاحب الطَّريقة الأولى تبدو علاقة الصَّمت بالحُبِّ غير المَشروط سخيفةً وعديمة المعنى، فكيفَ يدخل الأول إلى القَلب مُحوِّلاً الثاني إلى حُبٍّ غَير مَشروط!

رُبَّما يكون من الشَّجاعةِ طرحُ سؤالٍ لا منطقيٍّ ولا عقلي كهذا، إنَّ كونهُ غير عقلي هو الأمر الذي يجعله

مُمكناً... إنَّهُ اختبارٌ وجوديٌّ، والمنطق لا يستطيع التَّحكُم باختباراتٍ كهذهِ.

الإنسانُ كونٌ صغيرٌ تتداخلُ فيهِ الأشياء و تَتَشابك... إذا مَضى حُبُّك أعمق يمضي صمتُكَ أعمق؛ يمضي فرحك أعمق وتمضي براءتك أعمق... تتفتح فيك الحساسيَّة والشاعريَّة.

كما لا تستطيع فصل يديك عن عينيك، ولا تستطيع فصل قدميك عن رأسك، لأنك وحدةً عضويَّةً مُتكاملة، تنطبق ذات القاعدة على العالم الدَّاخلي... حُبُّكَ، صَمتُك ، فرحك، تأملك أمواج صغيرة في محيطٍ واحدٍ هو الوعي، فاحذر فِخاخ الفِكر الذي يدَّعي القِيادة، واصغِ لقلبك دائماً، ولن تضلَّ أبداً السَّبيل... كُلَّما استمعت لقلبك أَكثر مضت حياتك أعمق بعيداً عن المنطق، بعيداً عن الديالكتيكية... بعيداً عن كُلِّ أشكال التفريق والتقسيم والتمييز.

يُمكنك أن تبدأ من حيثُ شئت، فأنت وحدةٌ واحدةٌ،

وحلقةٌ مُغلقةٌ تتصل جميع أجزائها بعضها ببعض... يمكنك أن تبدأ بالمزيد من التأمل لأنَّ التأمل شيءٌ ذاتيٌّ بامتياز، ولا يتعلَّق بِسواك، ابدأ بالتأمل ودَع ما تَبقى يأتي من تِلقاءِ نفسهِ لأنَّ فيهِ بعض التَّعقيد.

كَيفَ لنا أن نبدأ من الحُب، وكل ما نَعرفهُ عن الحُب مجموعة من فِتَنٍ بيولوجيَّة، لو حَدثَ هذا سنضيع بالتأكيد، أما التأمُّل فهو الشَّيء الوحيد غير المُستمد من البيولوجيَّة... ترى البيولوجيَّة والفيزيولوجيَّة تتحدث عن كُل شيء لكنَّكَ لن تسمعها، تذكَّر الكَلمة «تأمَّل...» إنَّ للتأمل قُوتهُ العظيمة، ولهُ تميزهُ وتفردهُ.

التأمل هو الجِّسر الوحيد الذي يربطك بالأعماق... ابدأ بالتأمل... هذا ما حَصلَ ويحصل في حضرة المُعلِّم دونما عناءٍ، ودونما جُهد... يتسلل الصَّمت إلى قلبك، فتشعر فجأةً بأنَّ ينابيعاً من الحُبِّ قد انفجرت؛ انفجرت دونما عنوانٍ، ودونما اتجاهٍ بل في جميع الاتجاهات... ليس حُبَّاً لأحدهم، بل وجودَ مُحبٍّ.

أما إذا أتى الحُب من التَّأمل؛ إذا أتى من الصَّمت، فسيكون ذا طابعٍ مُميَّزٍ فريدٍ لأنَّهُ غَيرُ قادمٍ من البيولوجيَّة؛ غيرُ قادمٍ من الماضي؛ غير قادمٍ من الشُّروط إنَّما من الاختبار العَفوي للصمت... هالةٌ رائعةٌ من الحُبِّ ستفاجئك بحلولها حَولك عندئذٍ.

يتحدَّثُ جميعنا عن الحُب لكنَّهُ حُبٌّ مَشروطٌ، وكُلُّ شيءٍ مَشروطٍ بالكاد يساوي فِلساً، لأنَّهُ سيغدو عِبئاً ثقيلَ الظِلِّ عندما تتغير الشُّروط أو تُشبَع... إنَّ كُلَّ حُبٍّ يَخضعُ لشرطٍ قادمٍ من الوعي أم من اللاوعي، لا بُدَّ أن يتسبب بخيبةِ أملٍ لأنَّ شروطاً كَهذهِ يستحيلُ تحقيقها.

دون وعي منها تَكرهُ كُلَّ فتاةٍ أُمَّها، وتتعقد المسألةُ أكثر، فهي تكرهها و تقلدها و تحاكيها، لأنَّ الأم هي المرأة الوحيدة التي تتمكن من تقليدها والتعلم منها وبالتالي تنشأ الفتاة وهي تتعلم كُلَّ تلك الأشياء القَبيحة التي تَكره... والآن ... تُحِبُّ كل فتاةٍ شابَّةٍ الوالد كما يُحِبُّ كُلَّ صبيٍّ الأم، وهذا أمرٌ طبيعيٌّ لأنَّهُ أول اختبارٍ

للقُطب الآخر... إنَّهُ أول اختبار للجِنس الآخر، ومن الطبيعي أن يكون الانجذابُ عَظيماً.

هُناك مُشكلةً أُخرى... كما تَكره الفتاة أمَّها يكره الصَّبيُّ والدهُ، والسَّببُ جنسيٌّ أيضاً، حيثُ يمتلكُ الأب الأم، وهي وجهةُ حُبِّ الغُلام، وبنفسِ الطريقةِ تنشأُ غيرةٌ لدى الفَتاة تِجاهَ الأُم التي تَمتلك الوالد، وهو وجهة حُبها... تستمِرُّ الأمور على هذا النَّحو، وتَدخل اللاوعي وترافقنا طيلة الحياة ما لم نحظى بالاستنارة... وهكذا ينشأ الحُب المشروط الذي يستحيلُ إشباعهُ.

لا إرادياًّ، يُريد كُلَّ رَجُلٍ من زوجتهِ أن تُصبحَ أُمَّاً لهُ، صورة تِلك المرأة التي يَحملها في ذاكرتهِ... وبالطبع لا يُمكِنُ لأيِّ امرأةٍ أن تُطابق تلك الصُّورة من جهةٍ، ومن جهةٍ ثانيةٍ لم تتزوجه لتكون أُمَّاً لهُ.

وبالمثل تُريد المرأة من زوجها أن يكون كالوالد تماماً، وتكرر الحالة نفسها مِمَّا يُضاعِف المشكلة أضعافاً.

و يأتينا تعقيدٌ آخر، يُريد الرَّجل من الزَّوجة أن تكون

أُمَّاً وهي تَكره الأُم، و الفتاة في الجانب الآخر تُريدُ من الزوج أن يكونَ أباً، وهو يكرهُ الأب من جهةٍ، ولا يعلم المتوقع منهُ من جهةٍ أُخرى، و هكذا تتعقد الأمور.

إن أقصى ما نستطيعُ تذكُّرَهُ بخصوصِ الأسرة هو أنَّها كانت الوحدة الأولى لبناء المجتمع... أُسرةٌ مُعتلَّةٌ بهذا الشَّكل أتت لنا بالمجتمع كاملاً، فما بالك بهذا المجتمع؟ مجتمعٌ معتلٌ هو الآخر ينقل فيه كل جيلٍ اعتلالهُ إلى الجيل التالي.

يقصد بالحب غير المشروط أنك لا تتوقع من الآخر شيئاً ولا تتوقع منهُ أيضاً أن يكون شخصاً آخر... تُحِبهُ كما هو... عندما يُصبح حُبك غير مَشروط تتحرر من انجذابك للآخرين، ويغدو هذا الحب هالةً؛ حقلاً مُغناطيسياً من الحُب يُحيط بك... تُصبح إنساناً محباً يُحبُّ كُلَّ شيءٍ؛ يُحِبُّ الأشجار؛ يُحبُّ غُروب الشَّمس؛ يُحبُّ المرأة... ستحبُّ كُلَّ شيءٍ يهبهُ لكَ الوجود.

جعلنا من الحُبِّ المشروط سِجناً... شَخصان لا يُحِبُّ كُل

منهما الآخر، فيرمي بهِ في السِّجن... غَريبٌ بالفعل! عِندما نُصادف شخصاً لا نُحِبهُ، فمن الأفضل أن نَدعهُ يمضي وشأنه، لكنَّ هذا مُستحيلٌ أيضاً لأننا نخشى أن يستمتع في مكانٍ آخرٍ مع شخصٍ آخر... يُريد كُل من الزَّوج والزَّوجة أن يَفرِض على الآخر السَّعادة بحضورهِ شخصياً ولا أحداً سواه؛ لا يُريدُ الرَّجل لزوجتهِ أن تختبر السَّعادة مع رجلٍ آخر، والمرأة هي الأُخرى تَرفض أن يَختبر زوجها السَّعادة مع امرأةٍ أُخرى.

حالة في مُنتهى الغَرابة تلك التي وصلت إليها الإنسانيَّة، وإذا لم نَحظى بوعيٍ عميقٍ بأنَّ تلك مأساةٌ كُبرى لن نستطيع تحرير أنفسنا من هذا الجَّحيم الذي أقمناه في الأرض... إنَّ من يدعون أنفسهم مُحبين، هم بالحقيقة أقربُ إلى المفتشين منهم إلى المحبين... كُلُّ رسالةٍ يجب أن تُفتَح؛ كُلُّ جيبةٍ يجب أن تُفتَّش.

إن لنا مُجتمعاً تفيضُ الغيرة من كُلِّ زاويةٍ وركنٍ فيه، رُبما يلجأ البعض لإخفائها؛ ربما يدعي آخرون بأنَّهم غير

مُصابين بها، ولكن أينَ عساكَ تُخفيها... كلُّما تعمدَّتَ كَبتها تَعمَّقتَ أَكثر، وانتشرت أوسع كَداءٍ سَرطاني في بنيانك الدَّاخلي... تعال نُلاحظ بعض الأشياء التي تُثير غيرتنا... إنَّ لأحدهم مَنزلاً جَميلاً؛ إنَّ لآخر جَسداً سَليماً قويّاً، وبُنيةً شديدة؛ إنَّ لثالث سيارة جميلة متطورة ولرابع زوجة جميلة، ولخامس صديقة فاتنة... وبهذهِ الطَّريقة ملأنا العالم من حولنا بِأُناسٍ يُثيرون غيرتنا.

حوَّلنا حياتنا إلى مُستنقعٍ من غيرةٍ حَمقاءَ نتنة، بدلاً من جَعلها مُحيطاً من حُبٍّ جامعٍ جماعي، ولن نكونَ قادرينَ على القِيام بالتحول المعاكس ما لم ننظر داخلاً ونبدأ بالبحث عن الجُّذور.

عِندما يدخل الحُب غير المشروط إلى وجودك، يحولك إلى وردةٍ جميلةٍ ونقيةٍ من الحُب؛ سيحررك من كل تلك السُّموم التي علقت بك، وعلقت بها... سيحررك من الغيرة؛ من الغضب؛ من الحَسد؛ من حُبِّ التملُّك، ومن التبعيَّةِ والانجذاب.

نعم... إنَّ جُلوسك في حضرة المعلم؛ إن جلوسك في حضرة من عَثر على الحَقيقة يمنحك تحولاً من هذا النوع دونما أي جهدٍ أو عَناء... يَبدأ هذا التَّحول داخلك بصمتٍ وستبدأ بتحسسهِ بعد أن يتمَّ العمل.

عندما تَختبر الحُب غير المشروط لن تعود قادراً على التراجع، إن لهُ اتساعاً وجمالاً، يجعلك تدرك أن ما كنتَ تدعوهُ حباً ما هو إلا كابوسٌ مُخيفٌ، ولن ترغب بالتأكيد بالعودة إليهِ... كل وجودك الدَّاخلي سَيُمانع تِلك العودة.

الفهرس

الفصل الأول: ما زالوا هناك............................ 5

الفصل الثاني: الموسيقا الإلهيَّة........................ 28

الفصل الثالث: أين هي قوتك........................ 44

الفصل الرابع: ما هو الكون........................... 57

الفصل الخامس: من الذي أخبرك أن الطيور على

أشكالها تقع... 65

الفصل السادس: ليس عملاً بل احتفالاً................ 79

الفصل السابع: تجدَّد................................. 98

الفصل الثامن: إبدأ بالتأمُّل............................ 108